

وابتغوا إلية الوسيلة

الشيخ أحمد سليمان

وابتغوا إلية الوسيلة

تأليف

الشيخ أحمد سليمان





وابتغوا إلية الوسيلة

وابتغوا إلیه الوسیلة

تألیف

الشیخ احمد سلمان

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
م ٢٠١١ هـ - ١٤٣٢



تقديم: الشیخ علی آل محسن

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خير خلقه،
وأفضل بريته، محمد وآل الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإن الشيخ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ)
أثار مسائل عقدية كثيرة، صارت في حياته ومن بعد موته محلًا
للأخذ والرد والجدال المحتدم بين مختلف الطوائف الإسلامية،
وبين أتباعه السلفيين الذين تبنّوا آرائه، وبذلوا جهوداً كبيرة في
التأكيد عليها والدفاع عنها.

ومن جملة المسائل التي أثارها ابن تيمية وأتباعه مسألة
التوسل التي كتب فيها ابن تيمية كتابه (قاعدة جليلة في التوسل
والوسيلة)، وضمنه كل آرائه التي من أهمها عدم تجويزه التوسل
بذات النبي ﷺ، وبغيره من الأنبياء والأئمة علیهم السلام، وقسم فيه
التوسل إلى توسل جائز، وتوسل محرام، وذكر أن من جملة التوسل
الجائزة هو التوسل بدعاء المؤمن كما توسل عمر بن الخطاب بدعاء

العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ .

وقد أثارت آراء ابن تيمية في التوسل وغيره حفيظة جملة من علماء عصره وغيرهم، وكان ذلك من أسباب تصديهم للرد عليه، بل التحامل عليه، وقد حذّرهم فيه، الذي تجاوز حدود النقد والتخطئة إلى التبديع، والتضليل، حتى قال تقي الدين السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦هـ): اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل، والاستغاثة، والتشفّع بالنبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسناته من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعموم من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية، فتكلّم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يُسبق إليه فيسائر الأمصار.

إلى أن قال: وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل، قول لم يقله عالم قبله، وصار بين أهل الإسلام مُثلة. (شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ٢٩٣).

ومع أن التوسل مسألة فقهية، لا ترتبط بالعقيدة بأي نحو؛ لأنّه داخل في أفعال المكلفين التي هي موضوع علم الفقه، إلا أن ابن تيمية وأتباعه أدرجو التوسل في باب العقيدة، وحملوه فوق ما يحتمل، فحكموا بأن التوسل بالأموات، والاستشفاع بهم، وطلب الحوائج منهم، شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام.

وقد ورد في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

- وهي أكبر لجنة إفتاء في المملكة العربية السعودية - قول المفتين: الاستعانة بغير الله في شفاء مريض، أو إنزال غيث، أو إطالة عمر، وأمثال هذا مما هو من اختصاص الله تعالى نوع من الشرك الأكبر الذي يخرج من فعله من ملة الإسلام، وكذا الاستعانة بالأموات أو الغائبين عن نظر من استعان بهم من ملائكة أو جن أو إنس في جلب نفع أو دفع ضر نوع من الشرك الأكبر الذي لا يغفر الله إلا لمن تاب منه؛ لأن هذا النوع من الاستعانة قربة وعبادة، وهي لا تجوز إلا لله خالصة لوجهه الكريم. (فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١٧٢ / ١).

ولا يخفى ما في هذا الكلام من المجازفة الواضحة؛ لأن كل من يتوسل بنبي أو إمام أو ولی لا يعتقد أنهم أرباب من دون الله تعالى؛ ولا يختلف المسلمون في أن الحاجات كلها بيد الله تعالى، وأنه سبحانه هو الفاعل الحقيقي، وأنه هو المعطي، والرازق الواقعي، والأئمّة والأولياء هم وسائط بين العبد المذنب وبين الله تعالى، فيجوز للعبد الجاني أن يتولّ لهم إلى الله تعالى في قضاء حاجاته التي لم تُفْصَّل بالدعاء المجرد، ولا سيما أن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿يَتَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوًا اللَّهَ وَآتَبَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَنْهَوْنَكُمْ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وإذا كانت الوسائل إلى الله تعالى كثيرة، فإن الأنبياء والأئمّة والأولياء والصالحين من ضمن تلك الوسائل التي أمر الناس بالأخذ بها.

والذي يظهر أن السبب الأساس لإنكار هؤلاء القوم للتسل، والتشدد في تحريمه والزجر عنه، وتکفير فاعله، هو أن ابن تيمية وأتباعه السلفيين لما رأوا أن الشيعة دأبوا على التوسل بأئمّة أهل البيت عليهم السلام؛ لکثرة ما تحقق لهم من قضاء حوائجهم كما هو مستفيض عنهم بل متواتر، ورأوا أن التوسل بمن خالف أهل البيت عليهم السلام لا يؤدي إلى أي نتيجة، علموا أن فتح هذا الباب لأتباعهم يستلزم تشكيك الأتباع في إماممة الأئمّة الذين يدعون السلفية لإمامتهم، كما أن تحريم ذلك يعطي السلفية مبرراً في رفض المقارنة بين أئمّة أهل البيت عليهم السلام وبين غيرهم من هذه الناحية.

وكيف كان فإن الكلام في التوسل طويل متشعب، ولا يسعني في هذه العجلة أن أخوض في عبابه؛ لکثرة مباحثه، وكثرة ما ذكر فيه من التشكيك والتشویش. وقد اطلعت على ما كتبه الباحث المتتبّع الشيخ أحمد سليمان، فوجده قد استوفى البحث في أهم النقاط التي تمس الحاجة إلى بيانها، فأوضحها ببيان حسن، وبأسلوب جميل سلس، فجزاه الله خير الجزاء على ما كتب، ووفقه إلى المزيد من البحوث النافعة، التي يحتاج إليها الناس، وأسأل الله سبحانه أن يجزل له الثواب، وأن يجعل عمله مقبولاً عند رب الأرباب، ومرضيًّا عند محمد وآلـه الأطياب، بمنه وجوده وكرمه، إنه أكرم الأكرمين، بحق محمد وآلـه الطيبين الطاهرين.



الحمد لله رب العالمين فاطر السماوات والأرضين، وبارئ الخلائق أجمعين، وبه نستعين، وأفضل الصلاة وأزكي التسليم على سيد الأنبياء وخاتم المرسلين، المبعوث المسدّد، المنصور المؤيد، المصطفى الأجمد، المحمود الأحمد، أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين المتوجبين، واللعنة الدائمة على أعدائهم ومبغضيهم من الآن إلى قيام يوم الدين، وبعد:

فإنه من نعم الله علينا أن منَّ علينا بالاسلام المحمدي الأصيل، فجعلنا شيعة لآل المصطفى صلوات الله عليهم أجمعين، نستقي منهم عقیدتنا، ونقتدي بهم في عبادتنا، فنكون من الناجين الفائزين يوم الحساب.

وبداعي البعض لأهل البيت سلام الله عليهم وشيعتهم حاول بعضهم إلصاق كل شيعة بهم، فكالوا لهم الاتهامات، ووجهوا لهم الافتراطات، وصاروا يبنزون أهل الحق بأسوأ الألقاب، حتى أدرجوا مذهب الشيعة في زمرة المذاهب الخارجة

والـأـدـيـانـ الـفـاسـدـةـ،ـ فـإـنـاـ لـلـهـ وـإـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـونـ.

ولـلـعـلـ منـ جـمـلـةـ التـهـمـ الـتـيـ أـلـصـقـتـ بـالـشـيـعـةـ أـنـ عـقـيـدـتـهـمـ
مشـتـملـةـ عـلـىـ الشـرـكـ،ـ بلـ حـكـمـوـاـ عـلـيـهـمـ بـأـنـهـمـ مـشـرـكـوـنـ كـمـ نـسـمـعـ
مـنـ الزـُّمـرـ التـكـفـيرـيـةـ الـتـيـ لـاـ تـتوـانـيـ عـنـ تـفـرـيقـ الـأـمـةـ وـتـمـزـيقـ
طـوـائـفـهـاـ.

فـإـذـاـ سـأـلـنـاـ هـؤـلـاءـ:ـ مـاـ هـوـ مـسـتـنـدـكـمـ لـهـذـاـ الـاتـهـامـ؟ـ

فـالـلـوـاـ:ـ إـنـكـمـ أـيـهـاـ الشـيـعـةـ تـدـعـونـ عـلـيـاـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ،ـ وـتـسـتـغـيـثـونـ
بـهـ فـيـ النـوـائـبـ،ـ وـتـتوـسـلـونـ بـغـيـرـهـ مـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـغـيـرـهـ مـنـ الـمـوـتـىـ،ـ
وـهـذـاـ شـرـكـ أـكـبـرـ مـخـرـجـ عـنـ الـمـلـلـةـ عـنـدـنـاـ!!ـ

وـهـذـاـ الـكـلـامـ لـاـ يـكـادـ يـخـتـلـفـ فـيـ اـثـنـانـ مـنـ السـلـفـيـةـ فـيـ هـذـاـ
الـعـصـرـ،ـ فـالـأـمـرـ عـنـهـمـ مـسـلـمـ بـهـ،ـ فـبـمـجـرـدـ أـنـ يـرـوـاـ وـاحـدـاـ عـنـ قـبـرـ
الـنـبـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ رـافـعـاـ يـدـيـهـ،ـ فـإـنـهـمـ يـحـكـمـوـنـ عـلـيـهـ بـالـشـرـكـ وـالـخـرـوجـ مـنـ
الـمـلـلـةـ،ـ وـالـعـيـادـ بـالـلـهـ!

وـلـأـجلـ ذـلـكـ فـإـنـيـ أـقـدـمـ لـلـقـارـئـ الـعـزيـزـ فـيـ هـذـاـ الـكـتـابـ درـاسـةـ
حـولـ التـوـسـلـ وـالـاستـغـاثـةـ،ـ مـشـتـملـةـ عـلـىـ مـنـاقـشـةـ بـمـوـضـوعـيـةـ،ـ مـنـ
أـجـلـ الـوـصـولـ إـلـىـ القـوـلـ الفـصـلـ فـيـهـمـاـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ.

تعريف التوسل والوسيلة

قبل الخوض في عباب هذا البحث لا بد أن نعرّج على تعريف اللغويين للتوسل والوسيلة، وذلك لأهمية هذا الأمر؛ لأن ضبط المعنى الذي وضع له اللفظ هو أهم مدخل لمعرفة حقيقة الشيء؛ لأنه إذا لم يكن هناك وضوح في المعنى فلافائدة من مواصلة البحث فيه؛ لأننا بذلك لا يزيdenا إلا بعدها عن الحقيقة.

والوسيلة كما يعرّفها لنا الجوهرى في الصاحح: ما يُتقرّب به إلى الغير، والجمع: الوسائل، والوسائل. والتوصيل والتوصّل واحد. يقال: وَسَلَ فلان إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه بوسيلة، أي تقرّب إليه بعمل^(١).

ويقول صاحب تاج العروس: الوسيلة والواسلة: المترفة عند الملك، والدرجة والقربة والوصلة، والجمع: الوسائل، وفي حديث الأذان: «اللهم آتِيْ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ»، قال ابن الأثير: هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويُتقرّب به، والمراد به في الحديث القُرْبُ من الله تعالى... ووصل إلى الله تعالى توسيلاً: عمل عملاً تقرّب به إليه ، كتوسل ، يقال: وسل وسيلة، وتوسل بوسيلة، وفي الصاحح: التوصيل والتوصّل واحد^(٢).

(١) الصاحح / ٥١٤٨.

(٢) تاج العروس / ١٥٧٧٤.

وقال الألوسي في تفسيره: هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويُتقرّب إلى الله عزّ وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي، من وصل إلى كذا أي تقرّب إليه شيء^(٣).

وعرّف القرطبي الوسيلة في تفسيره بأنها: هي القربة، عن أبي وائل، والحسن، ومجاحد، وقتادة، وعطاء، والسدي، وابن زيد، وعبد الله بن كثير، وهي فعيلة من توسلت إليه: أي تقربت^(٤).

والنتيجة أن التوسل إلى الله تعالى هو التقرب إليه، فكل ما يُتقرّب به إلى الله تعالى يصح أن يقال عنه إنه وسيلة له سبحانه، سواء أكان عملاً صالحاً، أم كاننبياً، أم وليناً إذا كان مقرباً إلى الله تعالى.

(٣) روح المعاني ٦ / ١٢٤ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٦ / ١٥٩ .

التوسل والوسيلة في الإسلام

اتفق المسلمين قاطبة على جواز التوسل، بل على استحبابه، امثلاً لأمره سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا إِلَهٌ وَآبَتَعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةُ وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]، قوله عز وجل: ﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَنْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ حَذِيرًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

ولهذا اتفقوا على جواز أنواع من التوسل، واختلفوا في أنواع أخرى، هل هي حرم أم لا؟

والاختلاف الذي حصل بين المسلمين هو في مصداق التوسل وكيفية تطبيقه في الواقع، فقد أجمعوا على جواز التوسل بالأعمال الصالحة، والتوكيل بدعاة الرجل الصالح الحبي، وحتى بذاته تعالى وبصفاته، واختلفوا في جواز التوسل بالموته، وبجاههم، وبحقهم، فمنهم من أجازه، ومنهم من ندب إليه، ومنهم من منعه، وجعله بدعة، بل منهم من كفر من يقوم به^(٥).

إذن جواز أصل التوسل لا خلاف فيه بين المسلمين، ولا ينكره إلا جاهل قد أعمى الله بصيرته !!

(٥) سنذكر هذه الأقوال بالتفصيل في باب فتاوى المنكرين للتوكيل.

تاريخ الاختلاف

الذي يتَّبع سيرة المسلمين، وينظر في كتبهم، يجد أن هذه المسألة لم تطرح في العصور المتقدمة مسألة عقدية، خصوصاً في القرون الثلاثة الأولى المدوحة كما يعتقد إخواننا أهل السنة وبعدها، بل لم نجد من تعرَّض لها صراحة وناقشها حتى من جوانبها الفقهية، أو قال بحرمتها أو كراحتها، فضلاً عن أن تكون شركاً أو كفراً كما يدَّعي السلفيون، مما يجعلنا نضع نقاط استفهم حول الحامليين لمنهج تكفير وتبذيع المُتوسِّلين، ونقول لهم: من أين لكم هذا؟!

والثابت عند الباحثين أن أول من نقل مسألة التوسل من كونها مسألة فقهية إلى المباحث العقدية هو ابن تيمية الحراني المتوفى في القرن الثامن الهجري !!

ولذلك قال القاضي السبكي الشافعى: اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسيرة السلف الصالحين، والعلماء والعموم من المسلمين، ولم ينكر ذلك أحد من أهل الأديان، ولا سمع به في زمان من الأزمان، حتى جاء

ابن تيمية، فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يُسبق إليه فيسائر الأعصار، ولهذا طعن في الحكاية التي تقدّم ذكرها عن مالك، فإنّ فيها قول مالك للمنصور: «استشفع به»، ونحن قد بيّنا صحتها ، ولذلك أدخلنا الاستغاثة لما يعرض إليها مع الزيارة، وحسبك أنّ إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوكّل قول لم يقله عالم قبله، وصار به بين أهل الإسلام مثله، وقد وقفت له على كلام طويل في ذلك، رأيت من الرأي القويم أميل عنه إلى الصراط المستقيم، ولا أتبعه بالنقض والإبطال، فإنّ دأب العلماء القاصدين لإيضاح الدين وإرشاد المسلمين تقرير المعنى إلى أفهمهم، وتحقيق مرادهم، وبيان حكمه، ورأيت كلام هذا الشخص بالضد من ذلك، فالوجه الإضراب عنه^(٦).

ويقول ابن حجر المكي الهيثمي: فمما يدل لطلب التوكّل به قبل خلقه وأن ذلك هو سيرة السلف الصالح الأنبياء والأولياء وغيرهم، فقول ابن تيمية ليس له أصل من افترائه ..

إلى أن يقول: ولا فرق بين ذكر التوكّل والاستغاثة والتشفع والتوجّه به ﷺ أو بغيره من الأنبياء، وكذا الأولياء، وفافقاً للسبكي، فالتوجه والاستغاثة به ﷺ وبغيره ليس لها معنى في قبول المسلمين غير ذلك، ولا يقصد بهما أحد منهم سواه، فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبيك على نفسه، نسأل الله العافية^(٧).

(٦) شفاء السقام: ٢٩٣.

(٧) الجوهر المنظم: ١٥٩.

ولا يخفى على القارئ العزيز أن هذه الشهادات لا يمكن أن تُهمَل، خصوصاً أنها صدرت من فقهاء يعتد بآرائهم، والأهم من هذا أنهم كانوا معاصرين لابن تيمية تقريباً، فهم على دراية بأسلافهم الذين لم يتعرّضوا لهذا البحث كما فعل ابن تيمية الذي ثبت أنه أول من ابتدع فيه هذا القول.

ولذلك عندما نرجع إلى ما كتبه ابن تيمية حول التوسل لا نجد له استشهاد بقول عالم سابق، أو رأي أحد أئمة المذاهب الفقهية المشهورة، وإنما اعتمد على فهمه للآيات القرآنية وبعض الآثار النبوية، ليخرج بهذا القول الغريب، فيكون قد طعن في كل سلفه الصالح الذين طالما نادى بالتمسك بفهمهم للنصوص الشرعية، والرجوع إليهم في معرفة العقائد الحقة!! فإنه إذا كان البحث في الأسماء والصفات فإن أول دليل يطرحه ابن تيمية هو إعراض السلف الصالح عن آيات الصفات، وقبو لهم معناها الظاهري الحقيقي، دون تأويل أو تشبيه أو تكييف أو تعطيل.

أما إذا كان الكلام حول التوسل والاستغاثة فإنه يضرب بآراء كل السلف عرض الجدار، ويكون فهم ابن تيمية هو الصائب، مع ما يستلزم ذلك من الحكم على كل المسلمين طيلة ثمانية قرون بالخطأ والضلالة !!

ولو خاطبنا ذوي الألباب السليمة وأصحاب العقول المستقيمة، وسألناهم: هل جهل المفسرون، والمحدثون، وشرح الحديث، والفقهاء، والعلماء، والفضلاء، والعوام، ما انفرد ابن

تيمية بمعرفته؟!

والجواب الصحيح هو أن ابن تيمية لما لم يكن أعلم علماء هذه الأمة، ولم يكن يتلقى وحي السماء، كما أنه لم يكن معصوماً عن الخطأ والرلل، فإن حاله حال غيره من سبقوه، ومن المجازفة القول بأن السلف لم يتنهوا إلى أمور كثيرة - من ضمنها التوسل بالموتى - تخرج المسلم من الملة، مع أن الناس كانوا يهارسونها بكثرة عند قبور الأنبياء والأولياء.

أما إذا كان السؤال موجّهاً لسلفي أشرب حب ابن تيمية فجوابه: نعم؛ لأن ابن تيمية كما يعتقد السلفيون كان يبصر تنزل الأمر بين طبقات السماء^(٨)، وكان يعلم ما في اللوح^(٩)، ويعلم ما

(٨) قال أحمد بن إبراهيم الواسطي في كتاب التذكرة والاعتبار في حق ابن تيمية: ومثل هذا العارف قد يبصر بيصيرته تنزل الأمر بين طبقات السماء والأرض، فالناس يحسّون بما يجري في عالم الشهادة، وهؤلاء بصائرهم شاخصة إلى الغيب، ينظرون ما تجري الأقدار، يشعرون بها أحياناً عند تنزّلها!! (ضمن كتاب العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٤٩).

(٩) قال ابن القيم في مدارج السالكين ٤٨٩/٢: ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية عليه الله السلام أموراً عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سفراً ضخماً. أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قبل عام ولا سيّع عام، وأن كلب الجيش وحده في الأموال، وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة، ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعيناً لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والمزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للMuslimين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحققاً لا تعليقاً. وسمعته يقول ذلك، قال: فلما أكثروا على قلت: لا ←

تحفی الصدور^(١٠)، فحری بكل سلفی بعد كل هذا أن يزعم أن ابن تیمية یعلم من تفسیر القرآن ومن حديث سید الأنام ما عجز عنه غيره !!

→ تکثروا، کتب الله تعالى في اللوح المحفوظ.

(١٠) قال عمر البزار البغدادي في كتاب الأعلام العلية ٥٦/١: جرى بيبي وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل، وطال كلامنا فيها، وجعلنا نقطع الكلام في كل مسألة بأن نرجع إلى الشيخ، وما يرجحه من القول فيها، ثم إن الشيخ عليه السلام حضر، فلما هممنا بسؤاله عن ذلك سبقنا هو، وشرع يذكر لنا مسألة مسألة كما كنا فيه، وجعل يذكر غالب ما أوردناه في كل مسألة.

فتاوي المنكرين للتسلل

أقام أتباع ابن تيمية الدنيا ولم يقعدوها حول قضية التوسل، وسوّدوا صفحات الكتب بفتاوي التكفير والتفسيق والتبديع، بل وإخراج من يقوم بهذا الفعل من الملة.

فقد ورد في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن: مَنْ كَانَ يَصْلِي وَيَصُومُ، وَيَأْتِي بِأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، إِلَّا أَنْهُ يَسْتَغْيِثُ بِالْأَمْوَاتِ وَالْغَائِبِينَ وَبِالْمَلَائِكَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَإِذَا نُصِحَّ لَمْ يَقْبَلْ، وَأَصَرَّ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مات فَهُوَ مُشْرِكٌ شَرِكًا أَكْبَرَ يُخْرِجُهُ مِنْ مَلَةِ الْإِسْلَامِ، فَلَا يُغَسَّلُ، وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ صَلَاةُ الْجَنَازَةِ، وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يُدْعَى لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ، وَلَا يَرِثُهُ أُولَادُهُ وَلَا أَبْوَاهُ، وَلَا إِخْوَتُهُ الْمُوْحَدُونَ وَلَا نَحْوُهُمْ مَنْ هُوَ مُسْلِمٌ؛ لَا خَلَافَ فِيهِمْ فِي الدِّينِ !!^(١١).

وقال أبو بكر الجزائري: إن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم والتسلل بجاههم لم يكن في دين الله تعالى قربة ولا عملاً صالحًا فيتوسل به أبداً، وإنما كان شركاً في عبادة الله محراً، يخرج فاعله من الدين، ويوجب له الخلود في جهنم !!^(١٢).

بل اعتبر صاحب كتاب (كيف نفهم التوحيد) أن الذي

(١١) فتاوى اللجنة الدائمة / ١٧٧٢ ، فتوى رقم ٦٧٩٢ .

(١٢) عقيدة المؤمن: ١٤٤ . وأبو بكر الجزائري شيخ الحرم المدني كما يسميه أتباعه.

يتوسل ويستغيث بالأنبياء والصالحين هو أسوء حالاً من أبي هب
وأبي جهل، وهم أحسن منه إيماناً!!^(١٣).

ولو أردنا جمع ما قيل في هذا الباب ملائنا عشرات الكتب إن
لم يكن مئات بأمثال هذه الفتاوي التكفيرية التي تصدر تباعاً من
أناس جعلوا أنفسهم أوصياء على هذا الدين، فأخرجوا منه من
شأوا، وأدخلوا فيه من أرادوا، وصاروا يوزعون صكوك الجنة
والنار علناً!!

(١٣) قال محمد باشميل في كتاب (كيف فهم التوحيد)، ص ١١: أبو جهل وأبو
هب ومن على دينهم من المشركين، كانوا يؤمّنون بالله، ويوجّدونه في الربوبية
حالاً ورازاً، محياً وميتاً، ضاراً ونافعاً، لا يشكرون به في ذلك شيئاً! عجيب
وغريب أن يكون أبو جهل وأبو هب أكثر توحيداً الله وأخلص إيماناً به، من
المسلمين الذين يتسلّلون بالأولياء والصالحين، ويستشعرون بهم إلى الله
تعالى!! أبو جهل وأبو هب أكثر توحيداً وأخلص إيماناً من هؤلاء المسلمين
الذين يقولون: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»؟! ما هذا يا رجل؟! كيف
تجرؤون على التصريح بمثل هذا الكلام الخطير، الذي هو وأمثاله مما تغالون
فيه هو الذي جعلكم أعداء للملايين من المسلمين في العالم؟ فقلت له: ليس
هذا عجياً ولا غريباً، بل هذا هو الواقع الذي سترقه وستسلم به إن شاء الله
عندما تكتشف لك الحقائق جليّة، وتتصبّ أمامك الأدلة مشرقاً وغاصحة،
وعندها سيزول بإذن الله ما علق بذهنك، وستتخلص مما رسب في عقلك من
رواسب المغالطات التي تغالطون بها أنفسكم، وتظنوها حججاً وبراهين..

أدلة المنكرين للتسلل

حاول أتباع ابن تيمية حشد أدلة من الكتاب والسنّة حول منع التسلل؛ وذلك لإقامة بدعهم، وتقوية رأيهم، واستخدمو فيها مسلك الخوارج، حيث أسقطوا آيات نزلت في الكفار والمرشّكين على أهل القبلة، وقادوا الأنبياء وصالحي هذه الأمة على أوثان الأمم السالفة، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم !!

فقد استدل المنكرون للتسلل بقوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

قالوا: هذا حالكم أيها المشركون !!

والجواب: أَنَّا لَمْ نُعْبُدْ مِنْ نَوْسِلْ بَهْم، إِنَّا رَجُونَا بَهْم التَّقْرِبْ من رب الأرباب كما قررنا في تعريف التسلل، فالاستدلال بهذه الآية باطل؛ لأننا لا نعبد لهم من دون الله، وإنما اتخذناهم وسيلة إلى الله تعالى لقربهم منه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغَوُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فمثلما اعتبرتم أعمالكم الصالحة إن كانت كذلك تقرّبكم، فنحن رأينا أن نبيّنا محمدًا ﷺ يقرّبنا إلى الله عزّ وجلّ حيًّا

وميتاً.

واستدل المنكرون أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخْنَدُوا مِنْ دُونِهِ أَوْ لِيَكَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رُزْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُدُ مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [ال Zimmerman: ٣]

قالوا: إن توسّلكم بالأولياء عبادة لهم.

والجواب: أن الآية الكريمة أثبتت أنهم يعبدون أصنامهم، وكذّبت دعواهم أن الأصنام هي مجرد واسطة بينهم وبين الله تعالى، فذيل الآية ينفي كون أوثانهم وسائل، ويثبت أنها أرباب من دون الله عزّ وجل. هذا أولاً.

وثانياً: أنه لا يوجد عند السلفيين تعريف مقنع للعبادة، فلو ضبطنا معنى هذا اللفظ لعلمنا أنه لا ينطبق على المسلمين القائلين بالتوسل، فال العبادة عندهم تعني غاية الخضوع والتذلل، ولو طبقنا هذا المعنى لوجدنا كل المسلمين كفاراً ومشركين؛ لأن الكل يخضع للملك، والسيد، والشرطي، والوالدين، فهل هؤلاء كلهم كفار؟ وليس كل من عبد الله خضع له غاية الخضوع، فهل المسلم الفاسق الذي لا يطيع الله عزّ وجل، ولم يخضع لأوامره، ولم ينته عن نواهيه يكون كافراً عندكم؟

ال العبادة هي غاية الخضوع والتذلل المسبوق بالاعتقاد القلبي بأن المذلل له هو إله، فلو سلّمنا بهذا التعريف زال الإشكال عن ما سبق.

واستدل المنكرون للتوسل أيضاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ
مِنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ
غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

فاللوا: أنتم تدعون أمواتاً، وهم غافلون عنكم بما أعد الله لهم
من نعيم وجحيم، ولا يقدرون على جوابكم، فأنتم على ضلال.

والجواب: أولاً: أن هذا الاستدلال خاطئ، فقد أثبتنا أننا لا
ندعوهم من دون الله، وإنما جعلناهم وسيلة إلى الله عز وجل.

وثانياً: أنه قد ثبت عند الكل أن الميت يسمع، فلا يكون
بذلك في غفلة، أما قضية الاستجابة فلا علاقة لها بالبيان والكفر
والشرك، فربما يستغيث الواحد منا بأخر لكي يساعده على فعل
شيء، لكن ذلك الآخر لا يستجيب له، إما لقصوره عن ذلك أو
لنقصيره، فهل يكون قد أشرك أو ضلل؟ علما أنه لا فرق في هذا
المورد بين الحي والميت؛ لأنكم إذا جعلتم المقياس هو القدرة
- طبعاً لا دليل لهم على هذا سوى عقوتهم المريضة - فستكونون
أول المشركين؛ لأنكم تنفون القدرة على الميت، وتشتبونها للحي،
وهذا عين الشرك؛ إلا إذا قلت: «إنه قادر بإذن الله، لا بذاته»،
عندما نقول لكم: إن الميت الذي نتوسل به أيضاً قادر بإذن الله عز
وجل، بل كل شيء في الوجود إذا خرج على هذا الإطار يعتبر
شركًا، فأنت إذا اعتقدت أن الشفاء في الدواء لذاته تصبح مشركاً،
أما إذا قلت: «إنه فيه الشفاء بإذن الله» فهذا إيمان، وعليه فتحن
نقول: إن هذه المقامات المشرفة والمشاهد العظيمة إنما نتوسل

ونتبرك ونستشفى بها وبساكنيها لأننا نعتقد أن الله أودع فيها هذه الخاصة، فلو افترضنا جدلاً أن اعقدانا كان خاطئاً فلا يكون فعلنا محرّماً، فضلاً على أن يكون شركاً أو كفراً، غاية ما يقال: إنه فعل عبشي لا طائل منه، وحاله حال رجل اشتري من الصيدلية دواءً ظن أن فيه الشفاء، لكن لم يتحقق مبتغاه، فهل يكون آثماً لأجل ذلك؟

ولا يخفى أن مدار الإيمان والشرك والكفر على الاعتقاد، ومدار الحرمة والخلية على النص، فإذا لم يوجد نص يمنع من التوسل فهو جائز؛ لأصالة البراءة في الشبهات التحريمية الإلزامية.

ومن الأدلة التي استدل بها المنكرون للتتوسل قوله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

قالوا: إن هناك فرقاً واضحاً بين الحي والميت، فإن الحي يسمع، والميت لا يسمع، فكيف يصح التوسل بمن لا يسمع؟!

والجواب: أن ما قاله المفسرون لهذه الآية خلاف ما قاله هذا المستدل.

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يهديهم إلى سماع الحجة وقبوها والانقياد لها، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ﴾، أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى

قبورهم وهم كفار بالهدایة والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة، لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم^(١٤).

فالمقصود بهذه الآيات هو سماع الانتفاع بعد الموت للكفار، أي أن الذي مات كافراً لا يستفيد من تلقينه شيئاً، وإنما قد ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ كلّم قتلى المشركين في بدر.

فقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر، فقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول. فذكر لعائشة، فقالت: إنما قال النبي ﷺ: إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق. ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْقَنَ﴾ حتى قرأت الآية^(١٥).

وهناك أحاديث أخرى^(١٦) وكلها تؤكد أن الموتى يسمعون كلام

(١٤) تفسير القرآن العظيم ٣/٥٦٠.

(١٥) صحيح البخاري ٥/٩.

(١٦) الأحاديث في هذا المجال كثيرة، وكلها تثبت أن الموتى يسمعون. منها: ما أورده ابن كثير في تفسيره ٣/٤٤٧، قال: من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً له عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام»، ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه ٨/١٦٨: «وحدثنا محمد بن منهال الضرير، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليس معه خرق نعالم إذا انصرفوا. حدثني عمرو بن زرار، أخبرنا عبد الوهاب يعني ابن عطاء، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: ←

الأحياء، حتى إن ابن تيمية وابن القيم اعترفا بذلك، ولم ينكراه^(١٧).

وزعم بعض المنكرين للتسلل أنه لم يجد دليلاً واحداً تقول به الحجة من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ، أو من سيرة السلف

→ إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه... فذكر بمثل حديث شيبان عن قتادة.

إضافة إلى أنه قد ثبت أن أعمال الناس تُعرض على الأموات، وبالتالي فهم يعرفون كل ما يفعله غيرهم من أقربائهم، فمن باب أولى أن يسمعوا نداءهم، كلامهم لهم، وقد أورد الحكم النيسابوري حديثاً يثبت هذا المعنى في مستدركه ٣٠٧ / ٤، قال: أخبرنا أبو النضر الفقيه، وإبراهيم بن إسماعيل القاري، قالا: ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا يحيى بن صالح الوحاضي، ثنا أبو إسماعيل السكوني، قال: سمعت مالك بن أدي يقول: سمعت النعمان بن بشير رض يقول وهو على المبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوها، فالله الله في إخوانكم من أهل القبور، فإن أعمالكم تُعرض عليهم. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وغيرها كثيرة.

(١٧) اعترف ابن تيمية بأن الميت يسمع، ولم ينكره، رغم أنه أول من حمل راية محاربة التسلل والاستغاثة! فقد قال في الفتوى الكبرى ٢٨٩ / ١: وقد ثبت في الصحيحين أن النبي قال: «لقنا أمواتكم لا إله إلا الله»، فتلقين المحضر سنة مأمور بها، وقد ثبت أن الميت يُسأل ويُمتحن، وأنه يؤمر بالدعاء له، فلهذا قيل: إن التلقين ينفعه، فإن الميت يسمع النداء كما ثبت في الصحيح عن النبي صل أنه قال: إنه ليس بسمع قرع نعاهم، وأنه قال: «ما أنت بأسمع لما أقول منهم»، وأنه أمرنا بالسلام على الموتى، فقال: ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا ردة الله روحه حتى يرد عليه.

أما ابن القيم فقد عقد في كتابه (الروح) باباً كاملاً، جمع فيه الأدلة والنصوص التي يستفاد منها سماع الموتى، وأورد فيه عدة أحاديث وروايات تدل على ذلك، وهذا يؤكّد أنه يذهب إلى القول بسماع الموتى..

الصالح يدل على مشروعية التسلل .

والجواب: أن المانعين للتسلل والمجوزين له قد اشتركوا في إثبات التسلل عامة من كتاب الله، أما تفاصيله فهو ثابت من سنة النبي المصطفى ﷺ وسيرة المسلمين كافة، وهو ما سنتبه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

أدلة المجوزين للتسلّل

ذكرنا فيما سبق الآيات الدالة على التوسل من كتاب الله، وأثبتنا أنه مبدأ قرآنی أجمع عليه المسلمون، وإن كانوا قد اختلفوا في تفصياته، ولا سيما التوسل والاستشفاع والاستغاثة بالأموات، وبيننا أنه لا يوجد دليل شرعي ولا مانع عقلي يمنع من التوسل بالأموات، وسنشرع الآن في ذكر النصوص المثبتة لمشروعية التوسل بالأموات، خصوصاً بالنبي محمد ﷺ.

منها: توسل عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب: المروي في صحيح البخاري عن أنس أن عمر بن الخطاب رض كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا رض فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا (١٨).

وهذا الحديث يدل صراحة على جواز التوسل بالذوات، بل يدل على أن الأمر كان معروفاً ومشهوراً بين الصحابة، والحججة فيه أن هذا الفعل صدر من عمر أمّام جمّع كبير من الصحابة، وهو ما يسمى إجماعاً سكوتياً، خصوصاً أن ما حصل لم يكن مرة واحدة، فإن الظاهر من السياق أن الحادثة تكررت كثيراً، حيث قال: «كان إذا قحطوا استسقى بالعباس».

(١٨) صحيح البخاري ٢/١٦.

وقد حاول ابن تيمية ومن انتهجه تحريف هذا الحديث، وصرفه عن ظاهره من التوسل بذات العباس عليه السلام كما هو واضح من ظاهر الحديث إلى التوسل بدعائه.

قال ابن تيمية: وقول عمر رضي الله عنه: «إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك ببنينا فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بعمّ نبينا» معناه نتوسل إليك بدعائه وشفاعته وسؤاله، ونحن نتوسل إليك بدعا عمه وسؤاله وشفاعته. ليس المراد به أنا نُنقِّسم عليك به، أو ما يجري هذا المجرى مما يفعله المبدعون بعد موته وفي مغييه، كما يقول بعض الناس: «أسألك بجاه فلان عندك»، ويقولون: «إنا نتوسل إلى الله بأنيائه وأوليائه»... فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضي الله عنه لفعلوا ذلك به بعد موته، ولم يعدلوا عنه إلى العباس، مع علمهم أن السؤال به والإقسام به أعظم من العباس، فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعله الأحياء دون الأموات، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم، فإن الحسي يطلب منه ذلك، والميت لا يطلب منه شيء، لا دعاء ولا غيره^(١٩).

ويتمكن الرد على ذلك بعدة أمور:

- ١ - أن كلام ابن تيمية عدول عن النص الصحيح الواضح بدون أي قرينة تدل على أن توسل عمر بالعباس كان بدعائه لا بذاته، ولا يجوز العدول عن ظاهر النص إلا بقرينة صحيحة.
- وما زعمه ابن تيمية من أن التوسل لو كان بالذوات لما عدل

عمر عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أقرب إلى الله تعالى زلفى إلى التوسل بالعباس غير صحيح؛ لأن الأفعال مجملة لا لسان لها، ونحن لا نعلم بما قصده عمر من اختيار التوسل بالعباس بخصوصه، ولا سيما أن في أهل البيت من هم أفضل من العباس بالاتفاق، كأمير المؤمنين والحسن والحسين ع، فلعل عمر كان يريد الإشادة بالعباس لما رأى انصراف الناس عن تبجيله وتعظيمه؛ لأنه كان من مسلمة الفتح، وكان من أسرى بدر.

ثم إن العقل يحكم بأن إثبات شيء لشيء لا ينفيه عما سواه، فتوسل عمر يثبت جواز التوسل بالعباس، لكنه لا ينفي جواز التوسل بغيره من الناس أحياء أو أمواتاً، فتنبه.

٢- أني بعد التتبع والبحث لم أجد روایة صحيحة ورد فيها أن عمر توسل بدعاء العباس عم النبي ﷺ، وهم اعتمدوا في كلامهم هذا على روایة أوردها ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، حيث قال: قد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذا الواقع، والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك؛ لمكاني مننبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث. فأرخت السماء مثل الجبال، حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس^(٢٠).

ويرد على هذا الاستدلال:

أولاً: أن الظاهر من كلام عمر أنه توسل بذات العباس حين قال: « وإننا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا.. »، فما جاء بعد هذا فهو منفصل عما سبق، لأن يقول القائل: « اللهم إني أسألك بنبيك وبأسئلتك الحسنى »، فإن هذا القول يحمل في طياته توسلاً بذات النبي، وتوسلاً بأسماء الله الحسنى، فيكون على رأي السلفية قد جمع في نفس الوقت بين توسل مشروع، وتوسل آخر غير مشروع، علماً أن الصحابة فهموا من كلام عمر أنه توسل بذات العباس، لا بدعاً كما زعمه ابن تيمية والألباني، فقد نقل ابن الأثير في أسد الغابة أبياتاً لحسان بن ثابت، قالها بهذه المناسبة، وهي قوله:

سَأَلَ الْإِمَامُ وَقَدْ تَتَابَعَ جَدُّنَا
عَمَ النَّبِيِّ وَصَنُونَا وَالَّذِي
أَحْيَا إِلَلَهُ بِهِ الْبَلَادَ فَأَصْبَحْتَ
فَسَقَى الْعَوَامُ بُغْرَةَ الْعَبَّاسِ
وَرِثَ النَّبِيَّ بِذَاكِ دُونَ النَّاسِ
مُخْضَرَةَ الْأَجْنَابِ بَعْدَ الْيَاسِ^(٢١)

كما نقل الذهبي في سير أعلام النبلاء أبياتاً للصحابي
العباس بن عتبة، قال فيها:

بِعَمَّي سَقَى اللَّهُ الْحِجَارَ وَأَهْلَهُ
تَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الْجَدْبِ راغِبًاً
وَمَنَا رَسُولُ اللَّهِ فِينَا ترَاثُهُ
عُشِيَّةَ يَسْتَسْقِي بِشَيْبِهِ عُمَرُ
إِلَيْهِ فَمَا إِنْ رَامَ حَتَّى أَتَى الْمَطْرَ
فَهَلْ فُوقَ هَذَا الْمَفَارِخِ مُفْتَحٌ^(٢٢)

فَنَحْنُ نَلْزَمُ ابْنَ تِيمِيَّةَ وَأَتَبَاعَهُ بِفَعْلِ الصَّحَابَةِ، وَبِفَهْمِهِمْ

(٢١) أسد الغابة ٣/١١١.

(٢٢) سير أعلام النبلاء ٢/٩٤.

للحادية، وترك التأويلات الباردة، ومحاولة المروب من ظاهر الحديث الذي عمد إليه ابن تيمية ومن قلده في هذه المسألة.

وثانياً: أن كلام العباس الذي استشهدوا به يؤكّد أن عمر قد توسل بذاته، فقد قال العباس: «وقد توجّه القوم بي إليك لمكاني من نبيّك..»، وهو كلام واضح في أن القوم توجّهوا بذات العباس كما قال هو بنفسه، مع أنه لم ينكر عليه أحد هذا الفهم، حتى عمر نفسه، الذي سمع منه هذا الكلام وقت الاستسقاء.

ثالثاً: العجيب أن القوم تمسّكوا بهذا الخبر المرسل الذي تجنبوا التعليق على سنته، وتركوا الخبر المسند الذي يليه في نفس الصفحة، وهو ما رواه ابن حجر بسنده عن زيد بن أسلم عن ابن عمر، قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرماداة بالعباس بن عبد المطلب... فذكر الحديث، وفيه: فخطب الناس عمر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أياها الناس برسول الله ﷺ في عمّه العباس، واتخذوه وسيلة إلى الله.

وفيه: فما برحوا حتى سقاهم الله..

وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن القوم عندهم إصرار مسبق على تحريم التوسل، فحاولوا حشد ما يستطيعون من كلمات ادعوا أنها تدل على رأيهم في التوسل، حتى لو لم تكن أدلة صحيحة بنظرهم، فاستدلّ لهم تبريري بحث.

وأخيراً نشير إلى ما ذكره الشيخ محمد صالح العثيمين في مجموع فتاواه حيث قال: كما أني أيضاً أقول: إن هذا جائز،

ولكتني لا أحبّذه، وأرى أن الإنسان يسأل الله تعالى بنفسه دون أن يجعل له واسطة بينه وبين الله، وأن ذلك أقوى في الرجاء، وأقرب إلى الخشية!!^(٢٣).

وبعبارة أخرى فإن ابن عثيمين يرى أنه أعلم بالتوحيد من عمر بن الخطاب، وأن ما فعله عمر بن نظر ابن عثيمين يتناهى مع قوة الرجاء، والخشية من الله تعالى رغم أنه يعترف أن فعل جائز!!

ومنها: حديث الأعمى: المروي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه:
أن رجلاً ضريراً أتى النبي صلوات الله عليه، فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني.
قال: إن شئت أخرّت ذلك، وإن شئت دعوت. قال: فادعه! قال:
فأمره أن يتوضأ، فيحسن الوضوء، ويصلِّي ركعتين، ويدعو بهذا
الدعاء: اللهم أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد صلوات الله عليه نبي الرحمة، يا
محمد إني أتوجّه بك إلى ربك في حاجتي هذه فتقضيها لي، اللهم
شفّعه فيَّ، وشفّعني فيه.

وهذا الحديث ورد في جملة من الكتب المعتمدة عند إخواننا
أهل السنة، وقد صحّحه جمّع من حفاظهم، فقد أورده الطبراني في
معجمه الصغير، وقال: والحديث صحيح^(٢٤).

وقال الحاكم في مستدركه: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم
يخرجاه^(٢٥). ووافقه الذهبي على تصحيحه، وقال: على شرط

(٢٣) مجموع فتاوى الشيخ محمد صالح العثيمين ٢ / ٢٧٧.

(٢٤) المعجم الصغير للطبراني ١ / ٣٠٦.

(٢٥) المستدرك ١ / ٧٠٠.

البخاري^(٢٦).

كما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وقال عقبه: ورويناه في كتاب الدعوات بإسناد صحيح^(٢٧).

وصححه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد، قال: هذا حديث صحيح، ورجاله ثقات^(٢٨)، وغيرهم.

وهذا الحديث دال على مشروعية الأنواع الثلاثة من التوسل، وهي: التوسل بدعاء الرجل الصالح، والتسلل بالعمل الصالح، والتسلل بالغائب، كما أنه دال على مشروعية نداء النبي ﷺ، والتوجّه إلى الله تعالى بالنبي محمد ﷺ.

والرواية أوضحت أن الرجل الكفيف دعا بهذا الدعاء في غياب النبي ﷺ، بقرينة رواية المستدرك التي جاء فيها: قال عثمان: فو الله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط..

وهذا ما يجعل توسل هذا الكفيف من نمط توسلنا في هذه الأزمان، وهو التوسل الذي ينكره السلفية، فالأخعمى عندما قال: «اللهم إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة» يظهر أنه كان في مكان آخر، وقوله: «يا محمد إنيأتوجّه بك إلى ربّي» نداء لغائب، وهو ما يعتبر شركاً عند القوم!!

(٢٦) تلخيص المستدرك ١ / ٧٠٠.

(٢٧) دلائل النبوة للبيهقي ٦ / ٣٥٢.

(٢٨) مسند أحمد بن حنبل ٤ / ١٣٨.

وقد حاول ابن تيمية التلاعيب بدلالة هذا الحديث الشريف، فقال: السؤال به، فهذا يجُوزه طائفة من الناس، لكن ما روي عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيف بل موضوع، وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة، إلا حديث الأعمى لا حجة لهم، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، وهو طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقد أمره النبي أن يقول: «اللهم شفعه فيّ»، ولهذا ردَ الله عليه بصره لما دعا له النبي ﷺ، وكان ذلك مما يعد من آيات النبي ﷺ، ولو توسلَ غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي ﷺ بالسؤال به لم تكن حالهم كحاله.

وهذا الذي قاله ابن تيمية من التلبيس الفاضح، فالنبي إنما علَمَ الأعمى دعاءً، ولم يدع له، ونص الحديث واضح، وكما ذكرنا سابقاً، فإن الأعمى ذهب، ثم رجع وقد أبصر بعد أن أدى ما كلفه به النبي ﷺ من الغسل والدعاء، ولا يوجد في متن الرواية ما يدل على أن النبي ﷺ دعا له.

ولو افترضنا أن شفاء الأعمى كان بسبب دعاء النبي ﷺ، فهذا لا يمتنع بعد وفاته صلوات ربِّي وسلامه عليه وعلى آله، لأنَّه، لأنَّه يرد سلام المسلم عليه^(٢٩)، وأعمَّالنا تُعرض عليه، فيدعونا كما

(٢٩) قد ثبت عند المسلمين أنَّ الرسول ﷺ يرد السلام، ويكتفي في إثبات ذلك صيغة التسليم في صلاتنا، التي تشمل السلام على الحبيب المصطفى صلوات ربِّي عليه وآله، فإنَّ كان لا يسمع ولا يرد فإنَّ تسليمنا عليه في الصلاة لغور، وهو قبيح، ثم إنَّه وردت أحاديث وروايات تؤيد هذا المعنى، منها ما رواه أبو عبد الله بن حنبل في مسنده ٥٢٧ / ٢ بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما ←

صحَّ ذلك عنه ﷺ^(٣٠)، ولو لا ذلك لكان تسلينا عليه في الصلاة وغيرها لغوًّا وعبثًا، مع أن المسلمين كافة أجمعوا على أن يقولوا في تشهدُهم: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته !!

وأخيراً أورد حفاظاً أهل السنة والجماعة هذا الحديث في كتب الأدعية والأذكار، فقد أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء، وابن السندي في عمل اليوم والليلة، والنسيائي في كتابه (عمل اليوم والليلة)، وهو ما يدل على أنهم فهموا منه نفس هذا المعنى الذي فهمناه من أن الدعاء بهذا اللفظ جائز مطلقاً، في حياته ﷺ وبعد مماته، وهو مما يُتعبد به في كل زمان ومكان، حاله كحال غيره من الأدعية.

ومنها: قصة دفن فاطمة بنت أسد رضي الله عنها: المروية عن أنس بن مالك، قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي ، دخل عليها رسول الله ﷺ، فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أمي، كنتِ أمي بعد أمي، تحجعين وتشبعيني، وتعرين وتكسوني،

→ من أحد يسلم على إله رَدَ الله عَزَّ وجلَّ علىَ روحِي حتى أرَدَ عليه». صحَّحه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٥٣/٦، فقال: رواته ثقات. كما صحَّحه التووي في رياض الصالحين، ص ٥٥٦، قال: رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٣٠) حديث عرض الأعمال رواه البزار في مسنده، وصححه الميسمى في مجمع الزوائد ٢٤/٩، قال: رجاله رجال الصحيح. وقال عنه الحافظ العراقي في طرح التشريب ٣/٢٩٧: إسناده جيد. وصحَّحه السيوطي أيضاً في كتاب الخصائص ٢/٢٨١، وفي تحرير أحاديث الشفا، ص ٣١، وقد ألف الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري الحستي كتاباً جديراً بالمطالعة أسماه (نهاية الآمال في شرح وتصحيح عرض الأعمال)، أثبت فيه صحة هذا الحديث، وردَ فيه على الذين طعنوا في هذا الحديث لكونه مخالفًا لأهؤلهم.

وتنعى نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة. ثم أمر أن تغسل ثلاثاً وثلاثاً، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور، سكبها عليها رسول الله ﷺ بيده ، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه، وكفت فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأننصاري، وعمر بن الخطاب، وغلاماً أسود يحفروا، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده. فلما فرغ، دخل رسول الله ﷺ، فاضطجع فيه، وقال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنه حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلـي، فإنك أرحم الراحمين. ثم كبر عليها أربعـاً، ثم أدخلوها القبر، هو والعباس، وأبو بكر الصديق رضي الله عنهـ . لم يرو هذا الحديث عن عاصم الأحول إلا سفيان الثوري، تفرد به روح بن صلاح.

وهذا الحديث أخرجه الطبراني في معجميه الكبير^(٣١)، والأوسط^(٣٢).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح، وثقة ابن حبان، والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح^(٣٣) .

أقول: روح بن صلاح كما ذكر الهيثمي وثقة الحاكم

(٣١) المعجم الكبير ٢٤/٣٥١.

(٣٢) المعجم الأوسط ١/٦١.

(٣٣) مجمع الزوائد ٩/٢٥٦.

النيسابوري، وذكره ابن حبان في الثقات^(٣٤)، إضافة إلى أن يعقوب بن سفيان الفسوبي قد روى عنه، وهو من مشائخه^(٣٥)، ومن المعلوم أن الفسوبي قد وثق جميع مشائخه، فإنه قال كما في تهذيب التهذيب: كتبْتُ عن ألف شيخ وكسر، كلهم ثقات^(٣٦).

أما ما قاله الهيثمي بأن الرجل فيه ضعف فقد بحثنا عن جرح مفسر لروح بن صلاح لكن لم نجده إلا مبهماً، فقد قال عنه الدارقطني: «ضعف»، ووافقه ابن ماكولا، وابن عدي^(٣٧)، ولم يذكروا سبب جرحه، فلا يعتد بقولهم؛ لأن علماء الحديث قد فرروا أن الجرح لا يُقبل إلا مفسراً^(٣٨)، وبالتالي فروح بن صلاح ثقة.

(٣٤) كتاب الثقات لابن حبان / ٨ / ٢٤٤.

(٣٥) روى عنه في كتابه المعرفة والتاريخ / ٣ / ٤٠٦.

(٣٦) تهذيب التهذيب / ١١ / ٣٧٨.

(٣٧) ضعف الدارقطني روح بن صلاح، ووافقه ابن عدي في الكامل / ٣ / ١٤٦، قال: وأظن أنه مصرى ضعيف.

قلت: نترك الظن لابن عدي، ومثله ابن ماكولا، أما الذهبي فذكره في تاريخ الإسلام / ١٦١ / ١٧، ولم يذكر إلا أقوال موثقية، مما يوحى أنه يرجح كفة توثيقه، وكذلك صنع في ميزان الاعتدال / ٢ / ٥٨، إلا أنه ذكر أيضاً تصعيف ابن عدي، وقد أثبتنا أنه مجرد ظن مشتمل على جرح م بهم لا يضر بالرجل.

(٣٨) اشترط العلماء أن يذكر الجارح سبب جرحه للشخص، أما التعديل فلا يشترط ذكر السبب، أما الأول فليبيان حقيقة الأمر؛ لأن كثيراً من الطعونات بداع تحاسد الأقران، أو خلاف شخصي بينهما؛ لسبب من الأسباب الدنيوية، أو لحقد طائفى أو ما شابه ذلك، ويؤيد ما قلناه كلام الخطيب البغدادي في الكفاية، ص ١٠٨، حيث قال: إن البخاري قد احتاج بجماعة سبق من غيره الطعن فيهم والجرح، لهم كعكراة مولى ابن عباس، وإسماعيل بن أبي أويس، ←

والحديث حسن على أقل التقادير، فلا عبرة بمن ضعفه خصوصاً
حافظ عصرهم الألباني^(٣٩) المتناقض المتبّع لهواه.

→ و العاصم بن علي، و عمرو بن مرزوق، وهكذا فعل مسلم بن الحجاج، فإنه احتاج
بسويد بن سعيد وجماعة غيره اشتهر عنهم ينظر في حال الرواة الطعن عليهم،
و سلك أبو داود السجستاني هذه الطريق وغير واحد من بعده، فدل ذلك على
أنهم ذهبوا إلى أن الجرح لا يثبت إلا إذا فسر سببه، وذكر موجبه. وقال أحمد بن
حبل كما في التهذيب ٢٩٦/٧: كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تحرير أحد
حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه. وقال ابن دقق العيد في
الاقتراح، ص ٢٩٦: فإن كان المجروح موثقاً من جهة أخرى فلا تحفلن
بالجرح المبهم من خالقه، وإن كان غير موثق فلا تحكمن بجرحه ولا تعديه.
وهذا ينطبق كله على حال روح بن صلاح، فهو من الذين وثّقهم الأعلام كابن
حيان والحاكم، ولم نجد في مقابل هذا التعديل جرحاً مفسراً، وعليه فلا بد من
الحكم بوثاقته، وصحة حديثه.

(٣٩) ضعف الألباني هذا الحديث في السلسلة الضعيفة ١/٣٢، وادعى وجود
جرح مفسر في روح بن صلاح!! بناءً على قول ابن عدي في الكامل: في بعض
حديثه نكارة، وقول ابن يونس: رویت عنه مناكير.

قلت: كلام الألباني غير صحيح، لأن ابن عدي عندما وصف روح بن
صلاح بهذا الوصف لم يسوق له أي حديث منكر، بل بالعكس، فإنه برأه مما
يُسبّ إليه، فقد ذكر حديثين منكريين، ثم قال ٣/١٤٦: وهذا الحديثان
يإسناديها ليسا بمحفوظين، ولعل البلاء فيه من عيسيٍّ هذا، فإنه ليس
معروفاً!

ومن عادة ابن عدي كما قال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح، ص ٤٢٩:
وقال ابن عدي في الكامل، ومن عادته فيه أن يخرج الأحاديث التي أنكرت
على الثقة، أو على غير الثقة.

مضافاً إلى أن قوله: «يروي مناكير» لا يعتبر جرحاً في الراوي كما قال ابن
حجر العسقلاني في لسان الميزان ٢/٣٠٨: فلو كان كل من روی شيئاً منكراً
استحق أن يُذكر في الضعفاء لما سلم من المحدثين أحد لا سبيلاً المكثر منهم.

والعجب أنهم يقبلون تضعيفاته عندما توافق أهواءهم، ولكن لما تصل النوبة إلى تضعيفه لأحاديث في الصحيحين فإنهم لا يقبلون ذلك منه!

إذن هذا الحديث حسن، وهو ما يستدل به المسلمون على جواز التوسل بالنبي ﷺ وبالأنبياء السابقين عليه، كما أنه يقطع دابر كل من يقول: إن الجائز من التوسل ما كان بالحي فقط، وأما التوسل بالميّت فلا، وهذا الحديث حجة عليهم، لأن النبي ﷺ توسل بمن سبقه من الأنبياء عليه.

ومنها: حديث دعاء الذهاب للصلوة: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا خرج الرجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق مشائي، فإني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا رياءً، ولا سمعةً، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تعفر لي ذنبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وَكَلَّ الله عزّ وجل به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله تعالى عليه بوجهه حتى يقضي صلاته.

هذا الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه^(٤٠)، وأحمد في مسنده^(٤١)، والطبراني في كتاب الدعاء^(٤٢)، وابن أبي شيبة في

(٤٠) سنت ابن ماجه ١/١٥٦.

(٤١) مسنند أحمد بن حنبل ٣/٢١.

(٤٢) كتاب الدعاء: ١٤٩.

مصنفه^(٤٣)، وغيرهم كثير.

وقد حسنه جمع من الحفاظ، نذكر منهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالِي الأذكار^(٤٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب^(٤٥)، والحافظ العراقي كما في تحرير أحاديث الإحياء^(٤٦)، والحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة^(٤٧)، وغيرهم.

أما الشيخ الألباني فقد حاول بشتى الطرق تضييف هذا الحديث وتوهينه، والتمس له العلل، إلا أن كلامه لا يعتد به في مقابل تحسين الحفاظ الفطاحل جهابذة هذا الفن.

ودلالة هذا الحديث واضحة وضوح الشمس، فإن رسول الله ﷺ حدَّث الناس على التوسل بحق السائلين، وهذا اللفظ شامل للأحياء والأموات، كما أنه يشمل الحاضرين والغائبين، وبالتالي يسقط التفريق الذي ابتدعه اتباع ابن تيمية للتوكيل، بين التوسل بالحي الحاضر، والتوكيل بالغائب أو بالميت.

ومنها: استغاثة نبي الله عيسى بن مرريم عليهما السلام: عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى بن مرريم إماماً مقططاً، وحكمـاً عدلاً، فليكسرنـ الصلـيب، ولـيقتلنـ الخنزـير، ولـيصلـحـنـ ذاتـ الـبـينـ، ولـيـذـهـنـ

(٤٣) المصنف لابن أبي شيبة / ٧ / ٢٩.

(٤٤) أمالِي الأذكار / ١ / ٢٧٢.

(٤٥) الترغيب والترهيب / ٣ / ٢٧٣.

(٤٦) تحرير إحياء علوم الدين / ١ / ٢٩١.

(٤٧) مصباح الزجاجة / ١ / ٩٩.

الشحنة، وليعرضنَّ عليه المال فلا يقبله، ثم لئن قام على قبرى
فقال: «يا محمد» لأجبته.

وهذا الحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده^(٤٨)، وصححه جملة
من الحفاظ، منهم: الهيثمي، قال: قلت: هو في الصحيح بإختصار،
رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح^(٤٩)، ووافقه الألباني في
تصحيحه كما في السلسلة الصحيحة، فإنه قال: قلت: وهذا إسناد
جيّد، رجاله كلهم ثقات، رجال الشيّخين، غير أبي صخر، وهو
حميد بن زياد الخراط، فهو من رجال مسلم وحده، وقد تكلّم فيه
بعضهم، وصحّ له ابن حبان، والحاكم، والبوصيري، ومشاه
المتنري^(٥٠).

كما أخرج الحكم النيسابوري حديثاً مشابهاً له في مستدركه،
يمكن أن يعتبر شاهداً قوياً على صحة هذا الخبر، بسنته عن عطاء مولى
أم حبيبة، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: ليهبطنَّ
عيسى بن مرريم حكمَ عدلاً وإماماً مقسطاً، وليس لكنَّ فجأ حاجاً أو
معتمراً أو بنيتها، ول يأتين قبرى حتى يسلّم علىَّ، ولا أرْدَنَّ عليه.

قال الحكم : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخر جاه بهذه
السياقة. وافقه الذهبي^(٥١).

أما دلالة الحديث فواضحة على جواز نداء النبي ﷺ

(٤٨) مسندي أبي يعلى ٤٦٢/١١.

(٤٩) مجمع الزوائد ٨/٢١١.

(٥٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/٥٢٤.

(٥١) المستدرك ٢/٥٩٥.

والاستغاثة به، وهو ما يمنعه أتباع ابن تيمية في هذا العصر، ويعتبرونه شركاً عندهم، فهنيئا لهم تكفير نبي الله عيسى سلام الله عليه، ثم أن الحديث يدل على أن الحبيب المصطفى ﷺ يسمع الأصوات بعد موته، خصوصاً من يتوجه إليه، بل ويرد على من يناديه.

أما من قال: «إن هذا من مختصات نبي الله عيسى صلوات الله عليه» فقوله محترق؛ لأنَّه قد تقرَّر في الأصول أنَّ العبرة بعموم المعنى، وليس بخصوص اللفظ، فلذلك نقول: إنَّ رسول الله ﷺ عَلَّمَ أَمَّنهُ التوسل والاستغاثة به.

ومنها: رواية مالك الدار: وكان خازن عمر بن الخطاب على الطعام، قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام، فقيل له: أئْتَ عمر، فأقرَّه السلام، وأخبره أنَّكم مسقييون، وقل له: عليك الكيس، عليك الكيس، فأتى عمر فأخبره، فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا ألو إلا ما عجزت عنه.

وهذه الرواية من أشهر الروايات الواردة في التوسل، فقد أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه^(٥٢)، وابن حجر العسقلاني في الإصابة^(٥٣)، وابن عبد البر في الاستيعاب^(٥٤)، والبيهقي في دلائل النبوة^(٥٥)، وغيرهم.

(٥٢) المصنف لابن أبي شيبة ١٢ / ٣١.

(٥٣) الإصابة في معرفة الصحابة ٣ / ٤٨٣.

(٥٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٤٦٣.

(٥٥) دلائل النبوة ٧ / ٤٧.

وصححها جمّع من كبار علماء المسلمين، منهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، حيث قال: وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السهان عن مالك الدار، وكان خازن عمر، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام، فقيل له: إيت عمر، فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيون، وقل له: عليك الكيس، عليك الكيس، فأتى عمر فأخبره، فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا ألو إلا ما عجزت عنه^(٥٦).

وألفت النظر إلى أن ابن كثير - تلميذ ابن تيمية الحرّاني - أورد هذه الرواية في كتبه، وصححها^(٥٧)، وهذا يقطع شغب كل من أراد الطعن في سندها!

وقد حاول بعضهم تضليل هذه الرواية كعادتهم، وكأنهم أخذوا عهداً على أنفسهم أن يطمسوا كل كرامة لنبيّنا محمد ﷺ، وأن يجحدوا كل معجزة له، فأعلّوا هذا الحديث بعده أمور، نذكر منها:

(٥٦) فتح الباري ٢/٤٩٥.

(٥٧) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٧/٩٠: وقال الحافظ أبو بكر البهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة ... عن مالك، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام، فقال: إيت عمر، فأقرئه مني السلام، وأخبره أنهم مسقون، وقل له: عليك الكيس، عليك الكيس. فأتى الرجل فأخبر عمر، فقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه. وهذا إسناد صحيح.

١ - **تدليس الأعمش:** فإنه من المعلوم أن الأعمش مدّلس، فلا يُقبل منه إلا ما صرّح بسماعه، وهذه الرواية معنونة، لم يصرّح فيها بالسماع، وعليه فهي رواية ساقطة مردودة.

والجواب: أن الذهبي أجاب على هذا الإشكال، فقال في ميزانه: متى قال - الأعمش -: «عن» تطرّق إليه احتمال التدليس، إلا في شيخ له أكثر عنهم: كإبراهيم، وابن أبي وائل، وأبي صالح السهان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال...^(٥٨).

قلت: هذه الرواية رواها الأعمش عن أبي صالح السهان، فتكون محمولة على السمع، فلا إشكال فيها.^(٥٩)

٢ - **جهالة مالك الدار:** قال بعضهم: إن مالك الدار مجهول، ولا يصح أن نأخذ دين الله من المجاهيل.

والجواب: أنه يكفي مالك الدار توثيقاً وتعديلًا أن عمر بن الخطاب استأمنه على بيت مال المسلمين! فأي شهادة بالعدالة أعظم من هذه؟!

ثم إنه قد ترجم له الحافظ ابن حجر في الإصابة في معرفة

(٥٨) ميزان الاعتدال / ٢٢٤.

(٥٩) لو أن القوم طبّقوا هذا المنهج على كل كتبهم، يعني ردوا كل رواية لم يصرّح فيها الأعمش بالسماع لنسفوا قدرًا كبيرًا من أحاديث الصحيحين؛ وذلك لأن سليمان بن مهران من الذين أكثروا الرواية عنه في مسلم والبخاري، لكن اتباع الهوى يمنعهم من ذلك في صحاحهم، في حين أن هذه الرواية لأنها تحالف هواهم ومشريهم حاولوا الطعن فيها بشتى الطرق؛ ليibusوا على الناس، ويحولوا بينهم وبين اتباع الحق.

الصحابة، فقال: مالك بن عياض، مولى عمر، هو الذي يقال له مالك الدار، له إدراك، وسمع من أبي بكر الصديق، وروى عن الشيفيين، ومعاذ، وأبي عبيدة، روى عنه أبو صالح السهان، وابناء عون وعبد الله ابنا مالك، وأخرج البخاري في التاريخ من طريق أبي صالح ذكوان عن مالك الدار أن عمر قال في قحوط المطر: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه. وأخرجه ابن أبي خيثمة من هذا الوجه مطولاً، قال: أصحاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استنقض الله لأمتك. فأتاه النبي ﷺ في المنام، فقال له: أئت عمر، فقل له: إنكم مستسقون، فعليك الكفين. قال: فبكى عمر، وقال: يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه ...

ورويانا في فوائد داود بن عمرو الضبي جمع البعوي من طريق عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي عن مالك الدار، قال: دعاني عمر بن الخطاب يوماً، فإذا عنده صرة من ذهب، فيها أربعمائة دينار، فقال: اذهب بهذه إلى أبي عبيدة، فذكر قصته، وذكر ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين في أهل المدينة، قال: روى عن أبي بكر: وعمر: وكان معروفاً، وقال أبو عبيدة: ولاه عمر كيلة عيال عمر، فلما قدم عثمان ولاه القسم، فسمى مالك الدار، وقال إسماعيل القاضي عن علي بن المديني: كان مالك الدار خازناً لعمر^(٦٠).

كما ترجم له ابن حبان في الثقات، فقال: مالك بن عياض الدار، يروي عن عمر بن الخطاب، روى عنه أبو صالح السمان، وكان مولى لعمر بن الخطاب، أصله من جبلان مالك بن صحار الهمداني، يروي عن حذيفة، وابن عباس روى عنه الشعبي^(٦١).

كما ترجم له البخاري، فقال: مالك بن عياض الدار، أن عمر قال في قحط: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه. قاله علي، عن محمد بن خازمي، عن أبي صالح^(٦٢)، عن مالك الدار.

وعليه، فإن الرجل تابعي ثقة كما مر آنفًا، والأثر صحيح لا غبار عليه، وهو يدل على أن التوسل بالنبي ﷺ كان متعارفًا بين الصحابة، وهذا لم ينكر أحد على ذلك الرجل توسله برسول الله ﷺ بعد موته، بل إن عمر تأثر بكلامه، وعمل به كما دل عليه هذا الأثر، وروايات آخر^(٦٣).

(٦١) الثقات ٥/٣٨٤.

(٦٢) التاريخ الكبير ٧/٣٠٤.

(٦٣) مثل ما أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٧/٩٣، حيث قال: وقال سيف بن عمر، عن سهل بن يوسف السلمي، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة، وأول سنة ثماني عشرة، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع، فهلك كثير من الناس، حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنسان، فكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار، حتى أقبل بلال بن الحارث المزني، فاستأذن على عمر، فقال: أنا رسول الله إليك، يقول لك رسول الله ﷺ: لقد عهدتكم كيساً، وما زلت على ذلك، فما شأنك؟ قال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة. فخرج فنادي في الناس: الصلاة جامعة، فصلب بهم ركعتين، ثم قام فقال: أيها الناس أنسدكم الله هل تعلمون مني ←

والنتيجة أن التوسل والاستغاثة والطلب من رسول الله ﷺ سُنّة نبوّية، سار عليها الصحابة والسلف الصالح، ولم ينكرها إلا ابن تيمية في القرن الثامن.

ومنها: أثر الكوئي: عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله، قال: قحط أهل المدينة قحطًا شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ، فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف. قال: ففعلوا، فمطرنا مطرًا، حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتقة.

أخرج هذا الأثر الدارمي في مقدمة سنته تحت عنوان: باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ بعد موته^(٦٤).

والظاهر أن هذا العنوان يدل على أن الدارمي كان يعتقد بمضمون ما يورده من روایات، وإنما هو كان هدفه مجرد النقل لقال: باب ما روي بصيغة التمريض، ولم يعتبرها كرامة.

وكالعادة حاول السلفيون وعلى رأسهم الألباني إسقاط هذا الأثر، لكنهم لم يوفّقو في ذلك!

ومن نظر في كلامهم يجد أنهم أعلاوه بعده علل سنناقشها

→ أمراً غيره خير منه؟ فقالوا: اللهم لا، فقال: إن بلال بن الحارث يزعم ذية وذية. قالوا: صدق بلال، فاستغثت بالله، ثم بالمسلمين. فبعث إليهم - وكان عمر عن ذلك محصوراً - فقال عمر: الله أكبر، بلغ البلاء مدتة فانكشف ...

تابعًا، منها:

١ - اختلاط عارم: وعارض هو محمد بن فضل السدوسي، وهو ثقة ثبت كما قال الحافظ في التقرير^(٦٥)، بل عدُوه من الأئمة كما قال السيوطي في طبقات الحفاظ^(٦٦)، كما أنه من رجال الصحيحين، له ستة أحاديث في مسلم، وحديث واحد في البخاري، أما اختلاطه فهو أمر مشهور لا يكاد يختلف فيه اثنان، لكن المهم هل هذا الحديث حديث قبل اختلاطه أم بعده؟

الجواب نجده عند الذهبي في سير أعلام النبلاء حيث قال ردًا على أصحاب هذا الادعاء: لقد فرج الدارقطني في شأن عارم، فقال: تغيّر بأخرة، وما ظهر بعد اختلاطه حديث منكر، وهو ثقة، فانتظر قول أمير المؤمنين في الحديث أبي الحسن الذي لم يأت بعد النسائي مثله، فأين هذا من قول ذلك الخساف المتصاحح أبي حاتم بن حبان في عارم^(٦٧).

وقال ابن حجر: قرأت بخط الذهبي: لم يقدر ابن حبان أن يسوق حديثاً منكراً، والقول فيه ما قاله الدارقطني^(٦٨).

فعلى من يزعم خلاف ما قاله الدارقطني أن يأتي بحديث واحد منكر لعارم، ثم إنما لو وافقناهم جدلاً في قولهم فيماذا يحكمون على أحاديث عارم في الصحيحين؟

(٦٥) تقرير التهذيب: ٥٠٢، (ت ٦٢٢٦).

(٦٦) طبقات الحفاظ ١/١٧٤.

(٦٧) سير أعلام النبلاء ٢٦٨/١٠.

(٦٨) تهذيب التهذيب ٣٥٩/٩.

إن هذا الشيء عجب !!

٢- ضعف سعيد بن زيد: أعلوا هذا الخبر بطبعون وردت في
المذكور عن يحيى بن سعيد^(٦٩).

فنقول ردًا على هؤلاء: إن الذهبي قد ذكر سعيد بن زيد في من تكلم فيه وهو موثق^(٧٠)، وقد وثق هذا الراوي جملة من أئمة الجرح والتعديل، منهم الإمام أحمد بن حنبل، قال: ليس به بأس، وقال يحيى بن معين: ثقة، ووثقه ابن سعد، والعجلي، وسليمان بن حرب، والدارمي، وابن عدي، وابن حبان^(٧١)، والأهم من كل هذا أن الرجل من رجال الصحيحين !

قال الحافظ في مقدمة الفتح: سعيد بن زيد بن درهم، أخو حماد بن زيد، له موضع واحد في الطهارة، وقال أحمد وغيره: لا بأس به. وقال النسائي: ليس بالقوي^(٧٢).

وقال الذهبي في الكاشف: روى له البخاري معلقاً، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجة، أبو الحسن أخو حماد،

(٦٩) كان يحيى بن سعيد سبئي الرأي في سعيد بن زيد، فقد كان لا يستمرره كما نقل ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤/٢٩، ولا ندرى ما سبب سوء رأيه في سعيد بن زيد، خصوصاً أن اللفظ ليس من الألفاظ الدالة على الجرح المفسر، وإنما الأمر أقرب إلى خلاف شخصي، وكما قررنا فيها سبق أن الجرح لا يقبل إلا مفسراً. وعليه، فإن هذا الكلام يُرد على صاحبه، ولا يعتد به.

(٧٠) تهذيب التهذيب ٤/٢٩.

(٧١) نفس المصدر.

(٧٢) مقدمة فتح الباري: ٤٥٧

عن عبد العزيز بن صحيب، وابن جدعان، وعن عارم، ومسلم،
قال جماعة: ليس بالقوى، ووثقه ابن معين^(٧٣).

وخلاصة الكلام أن سعيد بن زيد ثقة، من رجال
الصحيحين، لم يرد فيه جرح مفسّر، ولو ضعفنا كل روایة ورد
فيها راوٍ ضعيف فلن تسلم أي روایة في كتب أهل السنة والجماعة،
كما اعترف بذلك البدر الزركشي في نكته على مقدمة ابن
الصلاح^(٧٤).

ولأجل أنه لا يوجد عندهم أحد عند التحقيق سالمًا من
الطعون، أوجدوا قواعد للخروج من هذا المأزق، فلم يقدّموا
الجرح على التعديل مطلقاً، وفي هذا الصدد يقول السبكي: فإنك
إذا سمعت أن الجرح مقدم على التعديل، ورأيت الجرح والتعديل،
وكنت غرّا بالأمور، أو فدماً مقتصرًا على منقول الأصول، حسبت
أن العمل على جرحة، فإذاك ثم إياك، والحذر كل الحذر من هذا
الحسبان، بل الصواب عندها أن من ثبتت إمامته وعدالته، وكثير
مادحوه ومذكوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب
جرحه، من تعصّب مذهبي أو غيره، فإننا لا نلتفت إلى الجرح فيه،
ونعمل فيه بالعدالة، وإلا فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم
الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا

وقد طعن فيه طاعون، وهلك فيه هالكون^(٧٥).

٣- حال عمرو بن مالك النكري: اعتبره البعض مجھول، وحاول آخرون تضيییفه بناءً على تعصّبهم لا غير، وإنما فإن الرجل ثقة، ترجم له ابن حبان في الثقات، فقال: عمرو بن مالك النكري، كنیته أبو مالك، من أهل البصرة، يروي عن أبي الجوزاء، روی عنه حماد بن زید، وجعفر بن سليمان، وابنه يحيى بن عمرو، ويُعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه، مات سنة تسع وعشرين ومائة^(٧٦).

بل ترجم له في كتابه مشاهير علماء الأنصار!! وفيه دلالة على أنه يرى الرجل من العلماء المعروفيين، وليس كما يدّعى أتباع ابن تيمية أنه مجھول ضعيف.

قال ابن حبان: عمرو بن مالك النكري أبو مالك، والد يحيى بن عمرو، وقعت المناکير في حديثه من رواية ابنه عنه، وهو في نفسه صدوق اللهجة، مات سنة تسع وعشرين ومائة^(٧٧).

وكذلك الذهبي الذي يعتبر متشدّداً في الجرح والتعديل قد وثقه أيضاً في كتابه الكاشف، فقال: عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء، وغيره، وعن ابنه يحيى، وعبدالله بن عباد، وجماعة، وُثّق، مات سنة ١٢٩^(٧٨).

(٧٥) طبقات الشافعية الكبرى ٢/٩.

(٧٦) الثقات ٧/٢٢٨.

(٧٧) مشاهير علماء الأنصار: ٢٢٤.

(٧٨) الكاشف ٢/٣٢٩.

وبالتالي فالرجل ثقة لا مطعن فيه، أما العجيب في الموضوع فنجد أن الألباني قد أسقط الرواية لضعف عمرو بن مالك النكري، إلا أنه رجع فصحّح رواية في سندها نفس هذا الراوي، بل وثقه!

قال في السلسلة الضعيفة ردًا على تحسين الحافظ المنذري والهيثمي لرواية الرجل: وفيما قاله نظر، فإن عمرًا هذا لم يوثقه غير ابن حبان، وهو متساهل في التوثيق، حتى إنه ليوثق المجهولين عند الأئمة النقاد^(٧٩).

ثم قال في سلسلته الصحيحة: أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٧١٢): حدثنا نوح بن قيس، قال: حدثني عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، قال: ... قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رجال مسلم، غير عمرو بن مالك النكري، وهو ثقة، كما قال الذهبي في (الميزان)، ذكره فيه تمييزاً، ووثقه أيضاً من صحيح حديثه هذا من يأتي ذكرهم^(٨٠).

فيا للعجب من الشيخ الألباني كيف ينافق نفسه، ويثبت أن مقاييسه في تصحيح الحديث وتضعيفه هو مجرد الهوى!^(٨١).

(٧٩) السلسلة الضعيفة / ١٣١ .

(٨٠) السلسلة الصحيحة / ٥ / ٦٠٨ .

(٨١) من هذا التناقض العجيب نفهم كيف يتعامل هؤلاء مع النصوص الشرعية، وتطبّيقهم لعلم الحديث عندهم، حيث إن الأمر هو مجرد اتباع الأهواء، فالصحيح هو ما وافق هواهم، وما خدم مصالحهم، والضعف هو ما خالف ما اعتقادوه، وما احتج به مخالفوهم من المسلمين، والشيخ الألباني كثيراً ما يقع ←

٤- سماع أبي الجوزاء من عائشة: فقد حاول البعض نفي
سماع أبي الجوزاء من عائشة، وعليه فالرواية تكون مرسلة، لا يصح
أن يحتج بها.

وللجواب عن ذلك نقول: اقرؤوا صحيح مسلم لتجدوا أن
مسلمًا روى في صحيحه روایات عديدة عن أبي الجوزاء عن عائشة.
قال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير،
حدثنا أبو خالد يعني الأحرم، عن حسين المعلم، قال: ح وحدثنا
إسحق بن إبراهيم واللفظ له، قال: أخبرنا عيسى بن يونس، حدثنا
حسين المعلم، عن بديل بن ميسرة، عن أبي الجوزاء، عن عائشة
قالت: كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة، وكان

→ في ذلك، حيث تجده يناقض نفسه في نفس الكتاب، لا يفصل قوله الأول عن
الثاني إلا وريقات.

وقد اهتم السيد حسن السقاف بتتبع زلات الألباني وتناقضاته، فصنف
كتاباً من ثلاثة أجزاء، أسماه (تناقضات الألباني الواضحات)، جمع فيه كل ما
وجدته من تناقضاته، وكم أتمنى أن يقوم بعض الباحثين بتأليف كتاب يتبع فيه
تناقضات ابن تيمية أيضاً، ومخالفاته في تضعيف الأحاديث الحسنة أو
الصحيحة، لمجرد أنها تختلف عقيدته، فإن ابن تيمية ليس أفضل حالاً من
الألباني، فإنه يناقض نفسه في بعض الأحيان في نفس الصفحة !!

نرجو من كل المسلمين الذين يقلدون هؤلاء في تضييف الأحاديث
وتصحيحها، أن يتبعوها إلى كل ما يصدر منهم، وألا يسلموا لهم عندما
يقولون: «هذا حديث ضعيف وهذا موضوع»، فإنهم يرددون الأحاديث التي لا
يرتضون معناها، متعللين بضعف أسانيدها! ولذلك ضعفوا كثيراً مما ورد في
فضائل أهل البيت، وميعوا ما ورد في الصحيحين منها، مبالغة في الرد على
الشيعة.

إذا ركع لم يشخص رأسه، ولم يصوّبه، ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائماً، وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوي جالساً، وكان يقول في كل ركعتين: التحية، وكان يفرش رجله اليسرى، وينصب رجله اليمنى، وكان ينهى عن عقبة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افراش السبع، وكان يختتم الصلاة بالتسليم^(٨٢).

٥- أما العلة الأخيرة وهي قاصمة الظهر فقولهم: إن الأثر موقوف على عائشة، وليس فيه من أوامر النبي ﷺ، ولا من توجيهاته شيء، فلا يكون حجة علينا!

والجواب: أنه يلزم هؤلاء أن يقولوا: إن عائشة كانت لا تُمِّرَّ بين ما هو شرك وما ليس بشرك، وأتها حث الناس على أن يفعلوا فعلاً شركياً، وأن الأفعال الشركية ربها تنفع الناس أحياناً، كما انتفع الناس بفتح الكوى على قبر رسول الله ﷺ، حيث سقوا بعد طول القحط والجدب !!

ثم يلزم هؤلاء أن يدعوا أنهم أعلم بكتاب الله عزّ وجل من عائشة، التي يرون أن كثيراً من الصحابة كانوا يرجعون إليها في الفتيا، حتى ألف الزركشي كتاباً حول استدراكات عائشة على الصحابة!

وهذا الأثر فيه دلالة واضحة على جواز التوسل بالنبي ﷺ والتوسل بقبره الشريف، كما أنه يدل على أنه لا فرق بين حياته

ومماته؛ لأن آثاره وكراماته باقية، وما اختصه الله به باقٍ إلى قيام الساعة.

ومنها: أثر ابن عمر: عن عبد الرحمن بن سعد: خدرت رجل ابن عمر، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: «يا محمد»، فكأنما نشط من عقال.

وهذا الخبر أخرجه البخاري في كتابه الأدب المفرد: (٢٦١)، وابن السندي في عمل اليوم والليلة: (٥٥)، وفيه استغاث عبد الله بن عمر برسول الله ﷺ طلباً لإزالة الخدر عن رجله، وقد تحقق له ذلك.

وقد أورد المخالفون عدة اعترافات على هذا الخبر، لإنقاطه عن الاعتبار، وإبطال الاحتجاج به عليهم، منها:

١ - **عنون السبيعي**: إذ أن أبي إسحاق السبيعي مدلّس، لا تقبل عامة روایاته إلا ما صرّح فيها بالسماع، وهذه الرواية معنعة، فلا بد من ردّها.

والجواب على ذلك: أن من جملة الذين رووا هذا الخبر عن أبي إسحاق هو شعبة كما في كتاب غريب الحديث^(٨٣)، ومن المعلوم عند أهل الصنعة أن ما رواه شعبة عن أبي إسحاق محمول على السمع؛ لأن شعبة قال: كفيتكم تدليس ثلاثة: الأعمش، وأبي إسحاق، وفتادة^(٨٤). وعليه، فتدليس السبيعي في هذا المورد لا

(٨٣) غريب الحديث (ح ٧٥٦).

(٨٤) تعريف أهل التقديس: ٥٩.

يعتبر علة قادحة في الرواية.

٢- اختلاط السبيعي: فإن أبا إسحاق مختلط، والمختلط لا تقبل روايته إذا لم نحرز صدورها منه قبل اختلاطه.

والحواب: أن راوي الخبر عن السبيعي كما في لفظ الأدب المفرد^(٨٥) هو الثوري، وقد قال الحافظ ابن حجر: والثوري وهو أثبت الناس فيه^(٨٦).

وعليه، فرواية الثوري عنه تعتبر في عداد ما رواه السبيعي قبل اختلاطه، فيسقط هذا الإيراد عن الاعتبار.

٣- جهالة عبد الرحمن بن سعد: قال بعضهم: «إنه مجهول»، وجهالة أحد الرواة تجعل الرواية ضعيفة السند.

والحواب: أن الرجل قد ترجم له في أكثر من كتاب، بل وثقه البعض، ولم يرد فيه أي طعن!

فقد قال البخاري في تاريخه: عبد الرحمن بن سعد مولى لابن عمر القرشي، وكان يكون بالكوفة، سمع ابن عمر^(العنبي)، روى عنه منصور^(٨٧).

وقال ابن حجر: عبد الرحمن بن سعد القرشي مولى ابن عمر، كوفي، وثقة النسائي، من الثالثة^(٨٨).

(٨٥) الأدب المفرد: ٣٣٥.

(٨٦) تهذيب التهذيب ٨/٥٧.

(٨٧) التاريخ الكبير ٥/٢٨٧.

(٨٨) تقريب التهذيب ١/٥٧١.

وذكره ابن حبان في ثقاته، وقال: عبد الرحمن بن سعد مولى لآل عمر، يروى عن ابن عمر أن النبي ﷺ على بعيره في السفر، روى عنه منصور بن المعتمر السلمي^(٨٩).

إذن فالرجل ثقة، لا إشكال في وثاقته على مباني القوم، وهو صالح الرواية، وعليه، فإن هذا الأثر ثابت، لا يصح إنكاره، وهو دليل صحيح صريح على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته افتداءً بابن عمر.

ولعل علماء أهل السنة يوافقون على هذا الفهم، وهذا نقلوا هذا الأثر في كتب الأذكار والأدعية والأعمال^(٩٠)، ومنهم ابن تيمية الحراني الذي أورده في كتابه (الكلم الطيب)!

ومن المفارقات العجيبة أن الألباني في تحقيقه كتاب الكلم الطيب اعترض على ابن تيمية في إيراده للأثر المذكور، مدعياً أن هذا الخبر ظاهره منافي للتوحيد الذي حمل المؤلف رايته، وإن شكَ البعض في نسبة هذا الكتاب لابن تيمية لاشتماله على مثل هذه الأخبار!^(٩١).

وبالتالي فهو يعلم أن معنى نداء ابن عمر للنبي ﷺ هو

. ٩٣ / ٥ (٨٩) الثقات

(٩٠) ذكره ابن القيم في الوابل الصيب، والنوعي في الأذكار، وابن السندي في أعمال اليوم في الليلة، والشوکانی في تحفة الذاكرين، والحافظ السخاوي في القول البديع، وغيرهم.

(٩١) الكلم الطيب لابن تيمية بتحقيق الألباني: ٥٥

استغاثة به، وهو ما يعتبرونه اليوم شركاً، فإنما الله وإنما إليه راجعون،
فلم يسلم من تكفيرهم حتى ابن عمر بن الخطاب بعد أن بدأه ابن
تيمية! ^(٩٢).

(٩٢) قال ابن تيمية في اقتضاء الضرر المستقيم، ص ٣٨٩: فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلّى فيها اتفاقاً فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة...
إلى أن قال: وتحري هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين، بل هو مما ابتدع،
وقول الصحابي وفعله إذا خالقه نظيره ليس بحججة، فكيف إذا انفرد به عن
جماهير الصحابة. وأيضاً فإن تحري الصلاة فيها ذريعة إلى اتخاذها مساجد،
والتشبه بأهل الكتاب، مما نهينا عن التشبه بهم فيه، وذلك ذريعة إلى الشرك
بالله!!

سيرة السلف

ذكرنا في ما مر النصوص الشرعية من الأحاديث النبوية الشريفة ومن سيرة الصحابة، التي تدل على جواز التوسل والاستغاثة، ولا سيما بسيّد الخلق محمد ﷺ.

ولعل الشيء الذي ينبغي أن نشير إليه أيضاً هو سيرة السلف الصالح، والشهرة العملية بين أصحاب المذاهب الإسلامية المعروفة، ولا سيما إذا كان الكلام يدور حول أئمة هذه المذاهب وكبار العلماء فيها.

المذهب المالكي:

أجمع فقهاء المذهب المالكي كلهم بلا استثناء على جواز التوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ وبغيره من الصالحين، وهذه أقوالهم نضعها بين أيديكم:

ونبدأ بإمام المذهب ومؤسسه: مالك بن أنس، وهو أشهر من أن يعرف، فقد نقل عنه القاضي عياض في الشفا مناظرة جرت بينه وبين الخليفة العباسى أبي جعفر المنصور حول التوسل، فقال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً، فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوَقَ صَوْتُ الَّتِي﴾

الآية [الحجرات: ٢]، ومدح قوماً، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ الآية [الحجرات: ٣]، وذمَّ قوماً، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُوْنَكَ﴾ [الحجرات: ٤] الآية، وإن حرمته ميتاً كحرمتها حيّاً. فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعوه، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيمة؟ بل استقبله، واستشفع به، فيشفعه الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ طَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية [النساء: ٦٤]^(٩٣).

وهذه القصة صحّحها كثير من العلماء الحفاظ، منهم: السبكي في (شفاء السقام)، حيث قال: وقد ذكر القاضي عياض إسنادها، وهو إسناد جيد^(٩٤).

والزرقاني في (شرح الموهاب اللدنية)، قال: ورواه ابن فهد بإسناد جيد، ورواهما القاضي عياض في الشفاء بإسناد صحيح، رجاله ثقات، ليس في إسنادها وضّاع ولا كذاب^(٩٥).

وصحّحها كذلك أحمد زيني دحلان، قال: ذكره القاضي عياض في الشفاء، وساقه بإسناد صحيح^(٩٦).

أما بخصوص انكار ابن تيمية لهذه القصة فقد كفانا مؤونة

. (٩٣) الشفاء / ٢ / ٤١.

. (٩٤) شفاء السقام: ٢٨٤.

. (٩٥) شرح الموهاب اللدنية / ٣ / ٤١٠.

. (٩٦) الدرر السننية: ١٠.

الرد عليه ابن حجر الهيثمي المكي في (الجوهر المنظم)، حيث قال: وانكار ابن تيمية لهذه الحكاية عن مالك حتى لا يرد عليه إنكاره التوسل والتشفع من خرافاته وتهوراته، كيف وقد جاءت عنه بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه^(٩٧).

وقال ابن الحاج المالكي في كتابه (المدخل): وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ف يأتي إليهم الزائر، ويتعين عليهم قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل، والانكسار، والمسكنة، والفقر، والفاقة، وال حاجة، والاضطرار، والخضوع، ويحضر قلبه و خاطره إليهم، وإلى مشاهدتهم بعين قلبه، لا بعين بصره؛ لأنهم لا يرون، ولا يتغيرون، ثم يشني على الله تعالى بما هو أهله، ثم يصلي عليهم، ويترضى عن أصحابهم، ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتول إلى الله تعالى بهم فيقضاء مآربه، ومغفرة ذنبه، ويستغث بهم، ويطلب حواججه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم، ويقوّي حسن ظنه في ذلك، فإنهم باب الله المفتوح، وجرت سنته سبحانه وتعالى فيقضاء الحاجات على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم، وذكر ما يحتاج إليه من حواججه، ومغفرة ذنبه، وستر عيوبه، إلى غير ذلك، فإنهم السادة الكرام، والكرام لا يردون من سألهم، ولا من توسل بهم، ولا من قصدهم، ولا من بلأ إليهم، هذا الكلام في زيارة الأنبياء،

والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً^(٩٨).

وكلامه واضح في جواز التوسل، والاستغاثة، والتبرك
بالنبي ﷺ وبغيره من الأنبياء والصالحين.

أما الإمام الصاوي الذي كان معاصرًا لقيام دعوة محمد بن عبد الوهاب فيقول: وما يتأكد عند دخول المدينة المشرفة: الغسل، والتطيب، وتجديد التوبة، وحين يدخل المسجد الشريف يأتي الروضة، فيصلي بها ركعتين تحيي المسجد، ثم يأتي قبلة القبر الشريف، ويقول: السلام عليك يا سيدني يا رسول الله، السلام عليك يا سيدني يا حبيب الله، السلام عليك يا سيدني يا أشرف رسل الله، السلام عليك يا إمام المتقين، السلام عليك يا رحمة للعالمين،أشهد أنك رسول الله، بلغت الرسالة، وأدّيت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، وجلّت الظلمة، ونطقـت بالحكمة، صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك أجمعين.

ثم يتوسل به في جميع مطلوباته، ثم ينتقل قبلة قبر أبي بكر، ويقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صديق رسول الله، أشهد أنك جاهدت في الله حق جهاده، جزاك الله عن أمة محمد خيراً، رضي الله عنك وأرضاك، وجعل الجنة متقلبك ومثواك، ورضي الله عن كل الصحابة أجمعين. ثم يتوسل به إلى رسول الله...^(٩٩).

. (٩٨) المدخل / ١٢٥٧.

. (٩٩) حاشية الصاوي على الشرح الصغير / ٣٤٤٦.

وصنف الفقيه المالكي محمد بن موسى بن النعيمان الشيخ أبو عبد الله المزالي التلمساني، الذي وصفه الصفدي في كتاب الوفي بالوفيات بالزاهد العابد العارف^(١٠٠)، كتاباً أسماه: مصباح الظلام في المستغيثين بخير الآنام!

فهل يصح أن يقال لهذا الفقيه: إنه كافر، مشرك، بل هو أسوأ حالاً من أبي جهل وأبي هب؟!

وكيف كان فإن فقهاء المالكية عملوا بهذه الفتاوى، ولهذا تراهم ييدُون كتبهم بالدعاء والتَّوْسُل بالنبي ﷺ، ولا بأس أن نأخذ لذلك مثالين:

١ - قال الإمام المفسّر الفقيه المالكي القرطبي في كتابه التذكرة: قال الحسن: أول من يفر يوم القيمة من أبيه إبراهيم، وأول من يفر من ابنه نوح... قال القرطبي: فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم، وهذا فرار التبرّي، نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحق محمد نبي الرحمة، وصاحب الكرام البررة، وجعلنا من حشر في زمرةِهم، ولا خالف بنا على طريقهم ومذهبهم، بمنه وكرمه، آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحبه^(١٠١).

٢ - توسل الزرقاني شارح الموطأ في كتابه، فقال: يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، وأسألك من فضلك متواصلاً إليك بأشرف رسلك، أن تجعله سبباً للفوز

(١٠٠) الوفي بالوفيات ٥/٨٩.

(١٠١) التذكرة: ٢٦٨.

برضاك ولقائك ولقاء حبيبك محمد صلى الله عليه [وآله]
وسلم^(١٠٢).

وغيرهما من علماء المذهب المالكي كثير وكثير من أفتوا
بجواز التوسل والاستغاثة مطلقاً، فهل يرى أتباع ابن تيمية أن
الإمام مالك بن أنس وأتباعه كفار مشركون؟!

المذهب الشافعي:

لعل أتباع المذهب الشافعي من أكثر الناس الذين اشتهروا
بقبولهم للتتوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ والصالحين؛ وذلك لأن
أكثر الشافعية يتبعون إلى الطرق الصوفية الذين يلقبهم أتباع ابن
تيمية بالقبورية والمبتدعة!

وسأذكر للقارئ العزيز أقوال نخبة من علماء الشافعية حول
التوسل، منهم:

١ - محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي، المعروف
بالشافعي الصغير، فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في
الفتاوى كما في كتاب الأعلام^(١٠٣): سُئل عما يقع من العامة من
قولهم عند الشدائدين: يا شيخ فلان، يا رسول الله، ونحو ذلك
من الاستغاثة بالأنبية والمرسلين، والأولياء، والعلماء،
والصالحين، فهل ذلك جائز أم لا؟ وهل للرسل، والأنبياء،
والأولياء، والصالحين، والشيخ، إغاثة بعد موتهم؟ وماذا يرجح

. (١٠٢) شرح الموطأ ٤/٥٦٢.

. (١٠٣) الأعلام ٦/٧.

ذلك؟

٦٩ سيرة السلف

فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء، والمرسلين، والأولياء، والعلماء، والصالحين، جائزة، وللرسل، والأنبياء، والأولياء، والصالحين، إغاثة بعد موتهم؛ لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنتهي بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم، يصلون، ويحيّون، كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، وأما الأولياء فهي كرامة لهم، فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة، يجريها الله تعالى بسببيهم ^(١٠٤).

٢- محيي الدين النووي شارح صحيح مسلم: قال: ثم يرجع إلى موقفه الأول قبلة وجه رسول الله ﷺ، ويتوسل به في حق نفسه، ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتبى مستحسن له، قال: كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ، فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وقد جئتكم مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربى، ثم أنشأ يقول: يا خير من دُفنت بالقَاعِ أَعْظَمُ فطابَ مِنْ طَبِيهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ

نفسي الفداءُ لقبرِ أنتَ ساكنُه
 فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ^(١٠٥)

ثم انصرف، فحملتني عيناي، فرأيت النبي ﷺ في النوم،
 فقال: يا عتبى، الحق الأعرابى، فبشره بأن الله تعالى قد غفر له.
 قال: ثم يتقدم إلى رأس القبر، فيقف بين الأسطوانة،
 ويستقبل القبلة، ويحمد الله تعالى، ويمجّده، ويدعو لنفسه بما شاء،
 ولوالديه، ومن شاء من أقاربه، ومشايخه، وإخوانه، وسائر
 المسلمين، ثم يرجع إلى الروضة، فيكثر فيها من الدعاء والصلوة،
 ويقف عند المنبر، ويدعو^(١٠٦).

٣- نور الدين السمهودي: فإنه عقد باباً في كتابه الوفا،
 أسماه: (في توسل الزائر، وتشفعه به صلی الله تعالى عليه وسلم إلى
 ربّه تعالى، واستقباله صلی الله تعالى عليه وسلم في سلامه، وتوسله،
 ودعائه). قال: اعلم أن الاستغاثة والتشفع بالنبي صلی الله تعالى
 عليه وسلم، وبجاهه وبركاته إلى ربّه تعالى، من فعل الأنبياء
 والمرسلين، وسير السلف الصالحين، واقع في كل حال، قبل خلقه

(١٠٥) هذه القصة مشهورة جدًا، ويعبر عنها بقصة العتبى، لا يكاد يخلو منها
 كتاب تفسير عند تعرضهم لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ
 جَاءُوكَ فَأَسْتَعْفِرُوكَ اللَّهُ وَأَسْتَعْفِرُكَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾،
 ولا يكاد يخلو منها كتاب فقه أيضاً، خصوصاً عند تعرّضهم لمبحث الحج
 والزيارة، وقد حسن النووي هذه الرواية، بل اعتبرها من أحسن ما ورد في
 الباب، ولذلك اعتمد عليها لبيان كيفية زيارة النبي ﷺ.

(١٠٦) المجمع شرح المذهب ٨/٢٧٥.

صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد خلقه، في حياته الدنيوية، ومدة البرزخ، وعرصات القيامة... وقد يكون التّوسل به بطلب ذلك الأمر منه، بمعنى أنه قادرٌ على التّسبّب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربّه، فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة. ومنه قول القائل له: أَسْأَلُكَ مِرْفَقَتِكَ فِي الْجَنَّةِ -الحاديـثـ، ولا يقصد منه إِلَّا كونه سبباً وشافعاً^(١٠٧).

٤- تقي الدين الحصيني الدمشقي: ولعل كلامه من أقوى ما قيل في هذا الباب، فإنه شبه المنكرين للتّوسل باليهود، بل هم أسوأ حالاً منهم، قال: ومن أنكر التّوسل والتّشفع به بعد موته، وأن حرمته زالت بموته، فقد أعلم الناس، ونادى على نفسه أنه أسوأ حالاً من اليهود الذين يتّوسلون به قبل بروزه إلى الوجود، وأن في قلبه نزعـةـ هي أخبـثـ النزعـاتـ^(١٠٨).

٥- شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (صاحب كتاب إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري)، قال: فإنه من توسل أيضاً، بل واستغاث برسول الله ﷺ كما ذكر ذلك هو بنفسه، فإنه قال: وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء، والتضرع، والاستغاثة، والتّشفع، والتّوسل به صلي الله عليه [والله] وسلم، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه، وأعلم أن الاستغاثة هي طلب الغوث، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث، فلا فرق بأن يعبر بلفظ الاستغاثة، أو التّوسل، أو التّشفع، أو

(١٠٧) الوفا / ٤ / ١٣٧١.

(١٠٨) دفع الشُّهـةـ عن الرسـولـ والرسـالةـ: ١٣٧

التوجّه؛ لأنّها من الجاه والوجاهة، ومعناه علو القدر والمنزلة، وقد يتولّ بصاحب جاه إلى من هو أعلى منه، ثم إن كلا من الاستغاثة، والتّوسل، والتّشفع، والتّوجّه بالنبي ﷺ كما ذكره في تحقيق النّصرة ومصباح الظلام واقع في كل حال...

ولقد كان حصل لي داء أعيما دواؤه الأطباء، وأقمت به سينين، فاستغثت به ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكّة زادها الله شرفاً، ومن علّي بالعود في عافية بلا مخنة، فبینا أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي، ثم استيقظت، فلم أجده بي والله شيئاً مما كنت أجد، وحصل الشفاء ببركة النبي ﷺ .^(١٠٩)

وهذا الذي فعله القسطلاني هو شرك أكبر مخرج من الملة عند السلفية، يوجب لصاحبـه الخلود في النار كما تبيـن لنا من الفتـاوي التي استفـتحنا بها بـحثـنا، في حين أنـ الرجل إمامـ من أئـمة الشـافعـيـة، ومن أـبرـز شـرـاح صـحـيـح البـخارـي المشـهـودـ لهمـ بالـعـلـمـ المـعـرـفـةـ، إـنـا لـلـهـ وـإـنـا إـلـيـهـ رـاجـعـونـ.

المذهب الحنفي:

أما هذا المذهب فحدث ولا حرج، فجل كتب علماء المذهب مشحونة بفتـاوي التـوـسلـ والـاستـغـاثـةـ بـالـنـبـيـ ﷺـ، وبـغـيرـهـ منـ الأـنـبـيـاءـ وـالـمـرـسـلـينـ، وـالـأـوـلـيـاءـ وـالـصـالـحـينـ!

أما ما يتعلق بالفتاوي فنجد كل الكتب الفقهية تقريباً تعرّضت للتوسل والاستغاثة، إما في باب زيارة النبي ﷺ، أو في باب الاستسقاء، وسنكتفي بذكر مثالاً واحداً على ذلك:

قال الشرنبلاني في كتابه (مراقي الفلاح): (وينبغي ذلك) أي الاجتماع للاستسقاء بالمسجد النبوي (أيضاً لأهل مدينة النبي ﷺ)، وهذا أمر جلي؛ إذ لا يُستغاث وتستنزل الرحمة في مدینته المنورة بغير حضرته ومشاهدته في حادثة المسلمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وهو المشفع في المذنبين، فيتولّ إليه بصاحبيه، ويتوسل بالجميع إلى الله تعالى، فلا مانع من الاجتماع عند حضرته، وإيقاف الدواب بباب المسجد لشفاعته^(١١٠).

وهذا قول عجيب غريب، فإن الشرنبلاني يفتى بأنّا إذا أردنا أن نتوسل بالنبي ﷺ، نتوجّه إليه بصاحبيه، ثم نتوجّه بهم إلى الله عزّ وجلّ!

أي أن هناك واسطتين بين العبد وربّه، فيكون هذا الفعل بالفكر التكفيري شركاً مرتكباً!

وكتب فقهاء الأحناف وعلمائهم ملوعة بالتوسل بالنبي والآل ﷺ، فلا تكاد تجد عالمًا إلا وقد استفتح كتابه بالدعاء والتوكيل!

فهذا الفقيه ابن عابدين الحنفي يقول في مقدمة كتابه: وإنني

(١١٠) مراقي الفلاح: ٢٠٤.

أسـأـله تـعـالـى مـتـوـسـلاً إـلـيـه بـنـيـه الـمـكـرـم ﷺ، وـبـأـهـل طـاعـتـه مـنـ كـلـ ذـي مـقـامـ عـلـيـ مـعـظـمـ، وـبـقـدـوتـنا إـلـيـمـ الـأـعـظـمـ، أـنـ يـسـهـلـ عـلـيـ ذـلـكـ مـنـ إـنـعـامـهـ، وـيـعـيـنـيـ عـلـيـ إـكـمـالـهـ وـإـتـامـهـ، وـأـنـ يـعـفـوـ عـنـ زـلـلـيـ، وـيـتـقـبـلـ مـنـيـ عـمـلـيـ، وـيـجـعـلـ ذـلـكـ خـالـصـاً لـوـجـهـ الـكـرـيمـ^(١١١).

ويـقـولـ الـحـافـظـ الـعـيـنـيـ فـيـ شـرـحـهـ لـصـحـيـحـ الـبـخـارـيـ: فـهـاـ نـحـنـ نـشـرـ فـيـ الـمـقـصـودـ، بـعـونـ الـمـلـكـ الـمـعـبـودـ، وـنـسـأـلـهـ إـلـيـعـانـةـ عـلـيـ الـاـخـتـاتـامـ، مـتـوـسـلاًـ بـالـنـبـيـ خـيـرـ الـأـنـامـ، وـآلـهـ وـصـحـبـهـ الـكـرـامـ^(١١٢).

وـقـدـ نـقـلـ الشـيـخـ مـحـمـدـ زـاهـدـ الـكـوـثـريـ الـحـنـفـيـ وـكـيـلـ مـشـيخـةـ الـدـوـلـةـ الـعـثـمـانـيـةـ فـيـ عـصـرـهـ الـكـوـثـريـ الـإـجـمـاعـ عـلـيـ مـشـرـوـعـيـةـ التـوـسـلـ، فـقـالـ: وـعـلـىـ التـوـسـلـ بـالـأـنـبـيـاءـ وـالـصـالـحـينـ أـحـيـاءـ وـأـمـوـاتـ جـرـتـ الـأـمـةـ طـبـقـةـ فـطـبـقـةـ^(١١٣).

أـمـاـ مـاـ يـرـدـدـ بـعـضـهـمـ مـنـ أـنـ أـبـاـ حـنـيفـةـ قـدـ كـرـهـ الدـعـاءـ بـهـذـا الـلـفـظـ: «الـلـهـمـ أـنـيـ أـسـأـلـكـ بـمـعـاـقـدـ الـعـرـرـ مـنـ عـرـشـكـ»، وـهـوـ دـلـيلـ عـلـيـ إـنـكـارـهـ لـلـتـوـسـلـ، فـهـذـاـ اـسـتـدـلـالـ ضـعـيفـ، وـحـالـ الـمـسـتـدـلـ حـالـ الـغـرـيقـ الـذـيـ يـتـشـبـثـ بـالـقـشـةـ، وـذـلـكـ لـعـدـةـ أـمـورـ:

أـوـلـاًـ: أـنـ مـاـ رـوـيـ عـنـ أـبـيـ حـنـيفـةـ - إـنـ صـحـ عـنـهـ - هـوـ كـراـهـةـ تـنـزـيـهـ، وـلـيـسـ كـراـهـةـ نـفـسـ الـفـعـلـ؛ لـأـنـ هـذـاـ القـوـلـ يـوـرـثـ التـشـبـيـهـ، خـصـوصـاًـ عـنـدـ ضـعـافـ النـفـوسـ، كـمـاـ نـصـّـ عـلـيـ ذـلـكـ الـكـاشـانـيـ فـيـ

(١١١) رد المحتار ٤ / ١.

(١١٢) عمدة القاري ٣٣ / ١.

(١١٣) مقالات الكوثري: ٤٥١.

(بدائع الصنائع)، حيث قال: ظاهر الرواية أن ظاهر هذا اللفظ يوهم التشبيه؛ لأن العرش خلق من خلائق الله تبارك وتعالى جل وعلا، فاستحال أن يكون عز الله تبارك وتعالى معقوداً به، وظاهر الخبر الذي هو في حد الآحاد إذا كان موهماً للتشبيه فالكاف عن العمل به أسلم^(١١٤).

ولا يخفى أن هذا اللفظ ورد في بعض الأحاديث^(١١٥)، فيجوز العمل به من باب التسامح في أدلة السنن إن كان سنه ضعيفاً عند أبي حنيفة أو غيره، خصوصاً أن الأمر يتعلق بدعاء، وأغلب الأدعية المأثورة غير مسندة.

ثم إن أبا يوسف القاضي تلميذ أبي حنيفة أفتى بجواز قراءة هذا الدعاء^(١١٦)، مما يجعلنا نرتاب من صحة ما نسب إلى أبي حنيفة؛

(١١٤) بدائع الصنائع ٥/١٢٦.

(١١٥) أخرج الطبراني ٢٥/١٢ بسنده عن صفية ودحبيبة ابنتا عليمة أن قيلة بنت خرمة كانت إذا أخذت حظها من المضجع بعد العتمة قالت: بسم الله، وأنتوكل على الله، وضعت جنبي لربِّي، أستغفره للذنبي، حتى تقوها مراراً، ثم تقول: أعوذ بالله وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يخرج فيها، وشر ما ينزل في الأرض، وشر ما يخرج منها، وشر فتن النهار وطوارق الليل، إلا طارقاً يطرق بخير، آمنتُ بالله، اعتصمت بالله، الحمد لله الذي استسلم لقدرته كل شيء، والحمد لله الذي ذلَّ لعزَّته كل شيء، والحمد لله الذي تواضع لعظمته كل شيء، والحمد لله الذي خضع لملكه كل شيء، اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومتنهى الرحمة من كتابك... الحديث.

قال المishiحي في مجمع الروايات ١٠/١٢٥: رواه الطبراني، وإسناده حسن.

(١١٦) قال في بدائع الصنائع ٥/١٢٦: وروي عن أبي يوسف أنه لا بأس بذلك؛ لورود الحديث.

إذ عادة ما تكون فتاوى الأستاذ والتلميذ متوافقة.

أخيراً نقول: إن أبا حنيفة قد أفتى بجواز التعبد بالبغل والنعل، وجواز التوسل بهم إلى الله عزّ وجلّ، وثبت هذا القول عليه بالسند الصحيح الذي لا مغنم فيه^(١١٧)، فهل الذي يكره

(١١٧) قال الفسوسي في كتابه المعرفة والتاريخ /٣٦٨: حدثني علي بن عثمان بن نفيل، حدثنا أبو مسهر، حدثنا يحيى بن حمزة - وسعيد يسمع -: أن أبا حنيفة قال: لو أن رجلاً عبد هذه النعل يتقرب بها إلى الله لم أر بذلك بأساً!! وهذا السند صحيح، كل رواته من الثقات المتفق على وثاقتهم، وهم:

١- يحيى بن حمزة بن واقد الحضرمي: ترجم له المزي في تهذيب الكمال ٢٧٩/٣١، وابن حجر في تهذيب التهذيب ١٧٦/١١، والذهبي في تاريخ الإسلام ٤٤٦/١٧، وقد وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم الرازى، والدارمى، وأبو داود، والنمسائى، والعجلى، وابن حجر.

٢- عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى: ترجم له المزي في تهذيب الكمال ٣٧٠/١٦، والذهبى في الكاشف في من له رواية ١٤٢/٢، وابن حجر في تهذيب الكمال ٩٠/٦، وقد وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم، والعجلى، وأبو داود، وابن حبان، والذهبى.

٣- علي بن محمد بن عثمان بن سعيد التفيلي: تقرير التهذيب ٦٩٩/١، تاريخ الإسلام ٤٠٥/٢٠، وثق هذا الرواوى: النمسائى، وابن حبان، وابن حجر.

٤- يعقوب بن سفيان الفسوسي: صاحب الكتاب، هو أجل عند القوم من أن يوثق، فهو إمام عندهم في الحديث والرواية، وهو صاحب كتب ومصنفات. إذن فسند الخبر إلى أبي حنيفة صحيح، ولا توجد أي علة فيه، إضافة إلى هذا فإن محقق كتاب (تاريخ بغداد) الدكتور بشار عواد معروف قد اعترف بصحة السند إلى أبي حنيفة، مما يقطع دابر كل من حاول أن يطعن في هذا الخبر ونفيه عن أبي حنيفة.

التوسل بالعرش يمكن أن يحيى التوسل بل وعبادة البغل والنعل؟
إن هذا شيء عجائب!

المذهب الحنفي:

يتتمنى أغلب المتسبين إلى المدرسة السلفية لهذا المذهب، ويحاولون دائمًا أن يستمدوا الشرعية لأفكارهم وعقائدهم وفتواهـم من خلال نسبتها إلى الإمام أحمد بن حنبل وأتباعـهـ، حتى لا يقال عنـهم إنـهم فرقـةـ حـدـيـثـةـ، دـخـيـلـةـ، مـبـتـدـعـةـ فيـ الإـسـلـامـ.

→ ثم إن هذا الخبر لم يتفرد بذكره صاحب كتاب المعرفة والتاريخ، بل أورده الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٣٦٩، وذكره ابن الجوزي في كتاب المنظم في التاريخ ٢٥/٣، وابن حبان في كتاب المجروحين ٣/٧٣.
وقد حاول البعض أن يعلـمـ الخبر بعدـمـ ثـبوـتـ سـيـاعـ يـحـيـيـ بنـ حـمـزةـ منـ أبيـ حـنـيفـةـ، فـنـقـولـ رـدـاـ علىـ هـذـاـ القـوـلـ:

ثـبـوتـ الـمـعـاصـرـةـ كـافـ لـلـاطـمـئـنـانـ بـاتـصـالـ السـنـدـ، خـصـوصـاـ إـذـ كـانـ الرـاوـيـ منـ الثـقـاتـ وـمـنـ غـيرـ المـدـلـسـينـ كـمـاـ قـرـرـ ذـلـكـ مـسـلـمـ فـيـ مـقـدـمـةـ صـحـيـحـهـ ٢٣ـ/ـ١ـ حيثـ قـالـ: وـهـذـاـ القـوـلـ يـرـحـمـكـ اللـهـ فـيـ الطـعـنـ فـيـ الأـسـانـيدـ قـوـلـ مـخـتـرـعـ مـسـتـحـدـثـ غـيرـ مـسـبـوقـ صـاحـبـهـ إـلـيـهـ، وـلـاـ مـسـاعـدـ لـهـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ عـلـيـهـ، وـذـلـكـ أـنـ القـوـلـ الشـائـعـ الـمـتـقـقـ عـلـيـهـ بـيـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ بـالـأـخـبـارـ وـالـرـوـاـيـاتـ قـدـيـمـاـ وـحـدـيـثـاـ أـنـ كـلـ رـجـلـ ثـقـةـ روـىـ عـنـ مـثـلـهـ حـدـيـثـاـ وـجـائـزـ مـكـنـ لـهـ لـقـاؤـهـ وـالـسـيـاعـ مـنـهـ، لـكـوـنـهـمـ جـيـعـاـ كـانـاـ فـيـ عـصـرـ وـاحـدـ وـإـنـ لمـ يـأـتـ فـيـ خـبـرـ قـطـ أـنـهـمـ اـجـتـمـعـاـ وـلـاـ تـشـافـهـاـ بـكـلامـ، فالـرـوـاـيـةـ ثـابـتـةـ، وـالـحـجـةـ بـهـاـ لـازـمـةـ، إـلـاـ أـنـ يـكـوـنـ هـنـاكـ دـلـالـةـ بـيـنـةـ أـنـ هـذـاـ الرـاوـيـ لـمـ يـلـقـ مـرـوـىـ عـنـهـ، أـوـ لـمـ يـسـمـعـ مـنـهـ شـيـئـاـ، فـأـمـاـ وـالـأـمـرـ مـبـهـمـ عـلـىـ الـإـمـكـانـ الـذـيـ فـسـرـنـاـ، فالـرـوـاـيـةـ عـلـىـ السـيـاعـ أـبـدـاـ حـتـىـ تـكـوـنـ الدـلـالـةـ الـتـيـ بـيـئـاـ. وـيـحـيـيـ بنـ حـمـزةـ لـمـ يـنـفـرـدـ بـتـقـلـ الخـبـرـ، فـقـدـ روـاهـ أـيـضـاـ سـعـيدـ بنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ كـمـاـ نـقـلـ ذـلـكـ اـبـنـ حـبـانـ فـيـ المـجـرـوحـينـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـ سـابـقاـ.

إلا أن مثل هذه الادعاءات لم تنفعهم في شيء؛ لأن المتبع لتاريخ المذهب الحنفي لا يجد من وافقهم في إنكار التوسل، بل بالعكس نجد أن غالبية أقطاب المذهب وافقوا بقية المسلمين، فأفتووا بجواز التوسل والاستغاثة!

فهذا إمام المذهب أحمد بن حنبل قد أجاز ما أنكره السلفيون باعتراف الألباني، بل وابن تيمية!

قال الألباني في كتابه التوسل: وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف، والذي نعتقده وندين الله تعالى أنه غير جائز ولا مشروع؛ لأنه لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة، وقد أنكره العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة، مع أنه قد قال بعضه بعض الأئمة، فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول ﷺ وحده فقط، وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين، ولكننا كشأننا في جميع الأمور الخلافية ندور مع الدليل حيث دار، ولا نتعصّب^(١١٨).

أقول: تتبعنا كلام الألباني، ولم نجد هذه الموضوعية، بل وجدناه يتغاضى كثيراً تعصباً أعمى، ويميل إلى الباطل، ويتجاهض عن كل الأدلة الشرعية الصحيحة!

وأما ابن تيمية فإنه قال في فتاويه: ولذلك قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمرزوقي صاحبه: إنه يتولّ بالنبي ﷺ في دعائه^(١١٩).

(١١٨) التوسل: ٤٣.

(١١٩) الفتوى الكبرى / ١٣٥٢.

و هنا نتساءل: هل الإمام أحمد الذي أقرَّ بأنه يتولّ بالنبي ﷺ بعد موته مشرك بنظر السلفيين؟

هذا ما ينبغي لهم أن يحييوا عليه إجابة واضحة!!

وأما كتاب الفقه المعتمد عند أتباع المذهب الحنفي، وهو كتاب (المغني) لابن قدامة، فإنه لم يخل هو أيضاً من الدعوة إلى التوسل بالنبي ﷺ.

قال ابن قدامة: ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ؛ لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حجَّ فزار قبري بعد وفاتي، فكأنما زارني في حياني»، وفي رواية: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»، رواه باللفظ الأول سعيد، ثنا حفص بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر. وقال أحمد في رواية عبد الله، عن يزيد بن قسيط، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يسلِّم علىَّ عند قبري إلا ردَّ الله علىَّ روحِي، حتى أردَّ عليه السلام». وإذا حجَّ الذي لم يحجْ قط يعني من غير طريق الشام لا يأخذ على طريق المدينة؛ لأنَّي أخافُ أن يحدث به حدث، فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق، ولا يتشاغل بغيره، ويروى عن العتبى قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، ف جاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾، وقد جئتكم مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربِّي، ثم أنشأ يقول:

يا خـيرـا مـن دـفـنـت بـالـقـاعـ اعـظـمـه
 فـطـابـ مـن طـبـيـهـنـ القـاعـ وـالـأـكـمـ
 نـفـسيـ الفـداءـ لـقـبـرـ أـنـتـ سـاـكـنـهـ
 فـيـهـ العـفـافـ وـفـيـهـ الجـودـ وـالـكـرـمـ

ثم انصرف للأعرابي، فحملتني عيني، فنمـت، فرأـيتـ النـبـيـ
 ﷺ فـيـ النـومـ، فـقـالـ: يـاـ عـتـبـيـ الـحـقـ الـأـعـرـابـيـ، فـبـشـرـهـ أـنـ اللـهـ قـدـ غـفـرـ
 لـهـ. وـيـسـتـحـبـ لـمـنـ دـخـلـ الـمـسـجـدـ أـنـ يـقـدـمـ رـجـلـهـ الـيـمـنـيـ، ثـمـ يـقـولـ:
 «بـسـمـ اللـهـ وـالـصـلـاـةـ عـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ، اللـهـمـ صـلـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آلـ
 مـحـمـدـ، وـاغـفـرـ لـيـ، وـافـتـحـ لـيـ أـبـوـابـ رـحـمـتـكـ». وـإـذـ خـرـجـ قـالـ مـثـلـ
 ذـلـكـ، وـقـالـ: «وـافـتـحـ لـيـ أـبـوـابـ فـضـلـكـ»؛ لـمـ رـوـيـ عـنـ فـاطـمـةـ بـنـتـ
 رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ وـرـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ، أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺ عـلـمـهـاـ أـنـ تـقـولـ
 ذـلـكـ إـذـ دـخـلـتـ الـمـسـجـدـ. ثـمـ تـأـتـيـ الـقـبـرـ، فـتـوـلـيـ ظـهـرـكـ الـقـبـلـةـ
 وـتـسـتـقـبـلـ وـسـطـهـ، وـتـقـولـ: السـلـامـ عـلـيـكـ أـيـهـاـ النـبـيـ وـرـحـمـةـ اللـهـ
 وـبـرـكـاتـهـ، السـلـامـ عـلـيـكـ يـاـ نـبـيـ اللـهـ وـخـيـرـتـهـ مـنـ خـلـقـهـ، أـشـهـدـ أـنـ لـاـ
 إـلـاـ اللـهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيـكـ لـهـ، وـأـشـهـدـ أـنـ مـحـمـداـ عـبـدـ وـرـسـوـلـهـ،
 أـشـهـدـ أـنـكـ قـدـ بـلـغـتـ رـسـالـاتـ رـبـكـ، وـنـصـحـتـ لـأـمـّتـكـ، وـدـعـوتـ
 إـلـىـ سـبـيـلـ رـبـكـ بـالـحـكـمـةـ وـالـمـوعـظـةـ الـحـسـنـةـ، وـعـبـدـتـ اللـهـ حـتـىـ أـتـاكـ
 الـيـقـيـنـ، فـصـلـىـ اللـهـ عـلـيـكـ كـثـيرـاـ كـمـ يـحـبـ رـبـنـاـ وـيـرـضـيـ، اللـهـمـ اـجـزـ عـنـاـ
 نـبـيـنـاـ أـفـضـلـ مـاـ جـزـيـتـ أـحـدـاـ مـنـ النـبـيـنـ وـالـمـرـسـلـيـنـ، وـابـعـثـهـ الـمـقـامـ
 الـمـحـمـودـ الـذـيـ وـعـدـتـهـ، يـغـبـطـهـ بـهـ الـأـوـلـونـ وـالـآخـرـونـ، اللـهـمـ صـلـ
 عـلـىـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آلـ مـحـمـدـ، كـمـ صـلـيـتـ عـلـىـ إـبـرـاهـيمـ وـآلـ إـبـرـاهـيمـ،

إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ، وَبَارَكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفِرُوكُمْ اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾، وَقَدْ أَتَيْتُكَ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذُنُوبِي، مُسْتَشْفِعًا بِكَ إِلَى رَبِّي، فَأَسْأَلُكَ يَا رَبَّ أَنْ تَوَجِّبَ لِي الْمَغْفِرَةَ، كَمَا أَوْجَبْتَهَا لِمَنْ أَتَاهَ فِي حَيَاتِهِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ أَوَّلَ الشَّافِعِينَ، وَأَنْجِحْ السَّائِلِينَ، وَأَكْرَمْ الْآخِرِينَ وَالْأُولَئِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(١٢٠).

بعد هذه الجولة في فتاوى أتباع المذاهب الإسلامية الأربع المشهورة، يتبيّن للقارئ العزيز أن التوسل برسول الله ﷺ بعد موته، جائز، بل مستحب.

وبعد هذا نسأل: أين فقه السلفيين من كل ذلك؟

وما هو مصدره؟

وهل هو منقول عن السلف؟ أو هو فقه مستحدث؟

نختتم الكلام بتبنيه القارئ العزيز إلى أن السلفيين أنفسهم لم يتَّفقوا على تحريم التوسل بالأموات، بل اختلَّفُوا فيه، وإليكم ما قاله ثلاثة من كبار العلماء الذين هم إما من السلفية أو يُنسبون إليهم.

١ - الحافظ ابن الجوزي: شيخ الحنابلة في عصره، حيث عقد

في كتاب الوفا بباباً كاماً، أسماء: في الاستسقاء بقبره ﷺ! ^(١٢١).

بل إن ابن الجوزي ذكر في كتابه (التبصرة) أنه قد توسل صراحة بنبي الله إبراهيم عليه السلام، وبنبينا محمد عليه السلام، وبالمخالصين من هذه الأمة، فقال: اللهم إنا نتوسل إليك بالخليل في منزلته، والحبيب في رتبته، وكل مخلص في طاعته، أن تغفر لكل منا زلة يا كريما ^(١٢٢).

٢ - محمد بن علي الشوكاني: هو فقيه مجتهد، لا يرى تقليد المذاهب، بل يعمل باجتهاده، قد أفتى وحث على التوسل، فقال: ويتوسل إلى الله سبحانه بأسمائه والصالحين، أقول: ومن التوسل بالأئم ما أخرجه الترمذى، وقال: «حسن صحيح غريب»، والنمسائى، وابن ماجة، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم، وقال: «صحيح على شرط البخارى ومسلم»، من حديث عثمان بن حنيف رضى الله عنه، أن أعمى أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري ... الخ ^(١٢٣).

قال الشوكاني: وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله ﷺ إلى الله عز وجل، مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وأنه المعطي المانع، ما شاء كان، وما يشاء لم يكن ^(١٢٤).

(١٢١) الوفا بأحوال المصطفى: ٤٦٩.

(١٢٢) التبصرة ١/١٠١.

(١٢٣) تحفة الذاكرين: ٦٠.

(١٢٤) تحفة الذاكرين: ٢٠٨.

٣- محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي: ترجم له الزركلي في أعلامه ونعته بالسلفي^(١٢٥)، قال في تفسيره: وبعد هذا كله أنا لا أرى بأساً في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي ﷺ عند الله تعالى حياً وميتاً، ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى، مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعاة عدم رده، وقبول شفاعته، فيكون معنى قول القائل: إلهي أتوسل بجاه نبيك ﷺ أن تقضي لي حاجتي: إلهي اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي، ولا فرق بين هذا وقولك: إلهي أتوسل برحمتك أن تفعل كذا، إذ معناه أيضاً إلهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا، بل لا أرى بأساً أيضاً بالإقسام على الله تعالى بجاهه ﷺ بهذا المعنى^(١٢٦).

والنتيجة أن كل فقهاء المذاهب الأربع الفقهية المشهورة يحizون التوسل، ويمارسونه، بل ويحثّون الناس عليه، بخلاف أتباع ابن تيمية فإنهم يحرّمونه، ويمنعون الناس من فعله، بل ويُكفرون بهم عليه!

(١٢٥) الأعلام ١٧٦/٧.

(١٢٦) روح المعاني ٤/١٨٧.

محاولات التحرير

قد تكون هذه الحقائق صعبة على البعض، خصوصاً الذين أخذوا قناعاتهم من ابن تيمية ومن محمد بن عبد الوهاب، فحاولوا بكل الوسائل التلاعب بالكتب وبالروايات اخفاءً لهذه الحقائق، وطمساً للأدلة الصحيحة التي تقطع دابر كل معاند للحق !

وسأكتفي بذكر مثالين اثنين لهذا التلاعب.

١- أخرج البخاري في كتابه (الأدب المفرد) في (باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله)، بسنده عن عبد الرحمن بن سعد، قال: خدرت رجل ابن عمر، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك. فقال: يا محمد.

وطبعات هذا الكتاب التي تمت بإشراف السلفيين أسقط منها ياء النداء من «يا محمد»، فجاءت الكلمة: «محمد»، بخلاف الطبعات الأخرى التي طبعها غير السلفيين، فإنها طبعت غير محرّفة، بل بخلاف كل الكتب التي نقلت هذه الرواية عن الأدب المفرد كما ذكرنا آنفاً في تحقيقنا لهذا الأثر، حتى ادعى الشيخ سعد الشهراوي في ردّه على الأحباش أنه لا وجود لحرف النداء، فقال: قول ابن عمر : «محمد» بدون حرف النداء، وهذا هو المثبت في أوثق طبعات الأدب المفرد، والتي حَقَّ أحدُها الشيخ محمد فؤاد

عبد الباقي، والثانية التي حققها الشيخ فضل الله الجيلاني، وذكر في مقدمتها أنه راجع عدة مخطوطات ومطبوعات لتحرّي ضبط النص^(١٢٧).

كما أنهم بذلوا كل ما في وسعهم لنفي وجود حرف النداء، فقال صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في كتابه (هذه مفاهيمنا) ردًا على هذه الرواية: قول ابن عمر: «محمد» ، بدون حرف النداء، والشائع عند العرب كما سيأتي استعمال يا النداء في تذكر الحبيب؛ ليكون أكثر استحضاراً في ذهن الخادرة رجله، فتنطلق^(١٢٨).

٢- قال محقق كتاب (طبقات المحدثين بأصبهان) في المقدمة: وذكر الذهبي عن أبي بكر بن علي أنه قال: كان ابن المقرئ - أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي الأصبهاني - يقول: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ بالمدينة المنورة، فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء، حضرتُ القبر، وشكوتُ إلى الله [كذا] الجوع، فقال لي الطبراني: اجلس، إما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ، فحضر الباب علوبي، ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقطتين فيها شيء كثير، وقال: شكتونوني إلى النبي ﷺ؟ رأيته في النوم، فأمرني بحمل شيء إليكم...^(١٢٩).

لكن عندما نرجع لأصل القصة عند الذهبي كما نقلها

(١٢٧) الرد على الأحباش: ٢٩٥.

(١٢٨) هذه مفاهيمنا: ٤٥.

(١٢٩) طبقات المحدثين بأصفهان، تحقيق عبد الغفور البلوشي / ١، ٧٠، طبعة دار الرسالة.

المصنف نجد أن كلمة «رسول» أسقطت فغيرت المعنى! فأصبحت الشكوى إلى الله عزّ وجل، وليس إلى رسول الله عليه السلام!

قال الذهبي: عن أبي بكر بن أبي علي، قال: كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا، والطبراني، وأبو الشيخ بالمدينة، فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت القبر، وقلت: يا رسول الله الجوع، فقال لي الطبراني: اجلس، فإذا أتيك الرزق أو الموت. فقمت أنا وأبو الشيخ، فحضر الباب علوى، ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقتين فيها شيء كثير، وقال: شكتوني إلى النبي عليه السلام؟ رأيته في النوم، فأمرني بحمل شيء إليكم^(١٣٠).

ومن خلال هذه الرواية يتبين أن الطبراني ومن كانا معه لم يدعوا الله مباشرة، وإنما توجّهوا إلى رسول الله عليه السلام، واستغاثوا به لسد جوعهم!

ولا ندرى لم لا ينقل هؤلاء التراث بإيمانة؟!

ولم يعبثون بالأحاديث ويحرّفونها؟!

فهل يرون أنفسهم أوصياء على عقول الناس وعلى عقائدهم؟!

وهل يرون لأنفسهم الولاية على التراث الإسلامي، وأن لهم

(١٣٠) أخرج الذهبي هذه القصة في تذكرة الحفاظ ٣/٩٧٤، وفي سير أعلام النبلاء ١٦/٤٠١، وفي تاريخ الإسلام ٢٧/٣٩، ولم ينفرد بذكرها، بل سبقه الحافظ ابن الجوزي في كتاب الوفا، ص ٤٧٠، فانظر إلى الأمانة العلمية وما حدث من الجور على الرواية، وكم لها من نظائر.

الحق في الجور عليه بحسب ما يريدون، حتى في المسائل التي أطبق على جوازها جميع المسلمين، ولم يخالف فيها إلا ابن تيمية وأتباعه من السلفيين، كالتوسل والاستشفاع وغيرهما؟

لذلك أوجه خطابي لشباب المسلمين المثقفين، فأقول لهم: لا تكتفوا بها هو مطبوع، فالقوم ليسوا بمستأمين على ما عندهم، قارنوها بين الطبعات المختلفة وبين المخطوطات إن تمكنتم حتى تصلوا للحقيقة.

روايات أئمة أهل البيت عليهما السلام في التوسل

في ختام هذا البحث أضع بين يدي القارئ الكريم بعض الروايات الصحيحة الواردة عن أئمة أهل بيته عليهما السلام، المشتملة على الحث على التوجّه بهم إلى الله، والتوسل بحقّهم عنده سبحانه.

منها: ما رواه الكليني في الكافي، قال: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان، وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها، أو حين تدخلها، ثم تأقي قبر النبي عليه السلام، ثم تقوم فتسسلم على رسول الله عليه السلام، ثم تقوم عند الأسطوانة المقدمة من جانب القبر الأيمن عند رأس القبر عند زاوية القبر، وأنت مستقبل القبلة، ومنكبك الأيسر إلى جانب القبر، ومنكبك الأيمن مما يلي المبر، فإنه موضع رأس رسول الله عليه السلام، وتقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أنك رسول الله، وأشهد أنك محمد بن عبد الله، وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وجاهدت في سبيل الله، وعبدت الله [مختصاً] حتى أتاك اليقين، بالحكمة والموعظة الحسنة، وأدَّيت الذي عليك من الحق، وأنك قد رؤفت بالمؤمنين، وغلاضت

على الكافرين، فبلغ الله بك أفضى شرف محل المكرمين، الحمد لله الذي استنقذنا بك من الشرك والضلال، اللهم فاجعل صلواتك، وصلوات ملائكتك المقربين، وعبادك الصالحين، وأنبيائك المسلمين، وأهل السماوات والأرضين، ومن سبّح لك يا رب العالمين، من الأولين والآخرين، على محمد عبده، ورسولك، ونبيك، وأمينك، ونجيك، وحبيبك، وصفيتك، وخاصتك، وصفوتك، وخيرتك من خلقك، اللهم أعطه الدرجة والوسيلة من الجنة، وابعثه مقاماً مموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم إنك قلت: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾، وإنني أتيت نيك مستغفرةً، تائباً من ذنبي، وإنني أتوجه بك إلى الله ربى وربك ليغفر لي ذنبي»، وإن كانت لك حاجة فاجعل قبر النبي ﷺ خلف كتفيك، واستقبل القبلة، وارفع يديك، واسأل حاجتك، فإنك أخرى أن تقضى إن شاء الله ^(١٣١).

وهذه الرواية صحّحها الشيخ المجلسي ^ق في مرآة العقول ^(١٣٢)، والشيخ يوسف البحرياني ^ق في الحدائق الناصرة ^(١٣٣). وهي تعلّمنا آداب زيارة النبي الأكرم <صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ>، وكيفية الدعاء عنده، والتوجّه به إلى الله عزّ وجل.

(١٣١) الكافي ٤/٥٥٠.

(١٣٢) مرآة العقول ٢٦٠١١٨.

(١٣٣) الحدائق الناصرة ٤٢٣١١٧.

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق عليه السلام في أماليه، قال: حدثنا أبي عليه السلام، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن العباس بن عامر، عن أحمد بن رزق الغمساني، عن يحيى بن أبي العلاء، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: إن عبداً مكث في النار سبعين خريفاً، والخريف سبعون سنة. قال: ثم إنه سأله عز وجل بحق محمد وأهل بيته لما رحمتني. قال: فأوحى الله جل جلاله إلى جبرئيل: أن اهبط إلى عبدي، فآخرجه. قال: يا رب، وكيف لي بالهبوط في النار؟ قال: إني قد أمرتها أن تكون عليك بردًا وسلاماً. قال: يا رب، فما علمي بموضعه؟ فقال عز وجل: إنه في جب من سجين. قال: فهبط في النار، فوجده وهو معقول على وجهه، فآخرجه، فقال عز وجل: يا عبدي، كم لبشت تناشدني في النار؟ قال: ما أحصيه يا رب. قال: أما وعزّي لولا ما سألتني به لأطلت هوانك في النار، ولكنه حتمت على نفسي أن لا يسألني عبد بحق محمد وأهل بيته إلا غفرت له ما كان بيني وبينه، وقد غفرت لك اليوم ^(١٣٤).

أقول: سند هذه الرواية معتبر، وجابر المذكور هنا هو جابر بن يزيد الجعفي، وهو ثقة على المختار.

ومنها: الزيارة الجامعة التي رواها الشيخ الصدوق عليه السلام في (من لا يحضره الفقيه)، وفيها قوله عليه السلام: اللهم إني لو وجدتُ

شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار
لجعلتهم شفعائي، فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك أسألك أن
تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم، وفي زمرة المرحومين
بشفاعتهم^(١٣٥).

صحح هذه الرواية العلامة المجلسي تَسْبِيحُ في البحار، قال:
إنما بسطت الكلام في شرح تلك الزيارة قليلاً وإن لم أستوف حقّها
حدراً من الإطالة؛ لأنها أصح الزيارات سندًا، وأعمّها مورداً،
وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنىً، وأعلاها شأنًا^(١٣٦).

وقال السيد عبد الله شبر تَسْبِيحُ: لا يخفى على أولي البصائر
النادة، وأرباب الأذهان الوداد، وذوي العقول السليمة،
وأصحاب الأفهام المستقيمة، أن الزيارة الجامعة الكبيرة أعظم
الزيارات شأنًا، وأعلاها مكانة ومكانًا، وأن فصاحة ألفاظها
وفقراتها وبلاحة مضامينها وعباراتها تنادي بصدورها من عين
صفافية نبعث عن (ينابيع الوحي) والإلهام، وتدعو إلى أنها خرجت
من السنة نواميس الدين ومعاقل الأنام، فإنها فوق كلام المخلوق
وتحت كلام الخالق الملك العلام^(١٣٧).

ومنها: ما رواه الكليني في الكافي، قال: عن علي بن إبراهيم،
عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن معاوية بن عمّار، عن

(١٣٥) من لا يحضره الفقيه ١ / ٣٩١.

(١٣٦) بحار الانوار ٩٩ / ١٤٤.

(١٣٧) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: ٣١.

أبي عبد الله عليه السلام، قال: شعارنا: «يا محمد، يا محمد» وشعارنا يوم بدر: «يا نصر الله اقترب اقترب»، وشعار المسلمين يوم أحد: «يا نصر الله اقترب»، ويوم بنى الضمير: «يا روح القدس أرح»، ويوم بنى قينقاع: «يا ربنا لا يغلبك»، ويوم الطائف: «يا رضوان»، وشعار يوم حنين: «يابني عبد الله، يابني عبد الله»، ويوم الأحزاب: «حم لا يصرون»، ويوم بنى قريطة: «يا سلام أسلمهم»، ويوم المريسيع وهو يوم بنى المصطلق: «ألا إلى الله الأمر»، ويوم الحديبية: «ألا لعنة الله على الظالمين»، ويوم خير يوم القموص: «يا علي آتكم من عل»، ويوم الفتح: «نحن عباد الله حقاً»، ويوم تبوك: «يا أحد، يا صمد»، ويوم بنى الملوح: «أمت أمت»، ويوم صفين: «يا نصر الله»، وشعار الحسين عليه السلام: «يا محمد»، وشعارنا: «يا محمد»^(١٣٨).

وهذه الرواية حسنها العلامة المجلسي قطب الدين في مرآة العقول، قال: الحديث الأول حسن^(١٣٩).

وصحّحها الشيخ هادي النجفي في موسوعة أحاديث أهل البيت، قال: صحيححة الإسناد^(١٤٠).

وهي واضحة الدلالة على اشتراها على عبارات الاستغاثة برسول الله عليه السلام، ومن ضمنها عبارة: يا محمد.

(١٣٨) الكافي ٤٧/٥.

(١٣٩) مرآة العقول ٣٨٥/١٨.

(١٤٠) موسوعة أحاديث أهل البيت ٢٧٠/٨.

خمسة في آذان السلفية

تبين مما سبق أن التوسل هي مسألة إجماعية بين أهل السنة والشيعة، ولم يخالف فيها إلا ابن تيمية الحراني في القرن الثامن الهجري، ولم يكن له سلف في ذلك، وقد أنكر التوسل والاستغاثة بناءً على فهم سقىم لظواهر آيات القرآن الكريم، انفرد به، وكفر به اتباعه بقية المسلمين !!

وهذا نقول لإخواننا السلفية: إن فهمكم للقرآن الكريم غير ملزم لبقية المسلمين؛ لأنه ليس بالضرورة أن يكون هو الفهم الصحيح لكتاب الله، والتفسير قضية اجتهادية، وقد وقع الاختلاف فيها حتى بين كبار الصحابة، وكل واحد إما أن يكون كلامه صحيحاً يحتمل الخطأ، أو كلامه خطأ يحتمل الصواب، وكما نقل عن الإمام مالك بن أنس: كُلُّ يَؤْخُذُ مِنْهُ وَيُرَدُّ إِلَّا صاحب القبر مشيراً إلى النبي ﷺ.

كما أن تقييم الأحاديث والحكم عليها بالصحة أو الضعف هو أيضاً قضية اجتهادية، وكل من أجاد هذا العلم وعرف هذه الصنعة يجوز له الاجتهد فيها، وهي ليست حكراً على طائفة معينة، أو على شخص مخصوص، وكذلك دراية الأحاديث النبوية وفهمها.

ولهذا فنحن نرجو من إخواننا الالتزام بهذه القواعد، وعدم الخروج عن الخطوط العريضة التي وضعها أهل هذا الفن، وعدم التسرع في تكفير الآخرين، والحكم عليه بالخروج من دائرة الإسلام، وعدم حصر الاجتهاد فيهم فقط، وأن يقبلوا الرأي المخالف، ويقارعوا آراء مخالفיהם بالحججة، ويناقشوها نقاشاً علمياً، لا بالدرة والمهارشة، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، و قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنٌ﴾.

نسأل الله تعالى أن يؤلف بين المسلمين، ويوحد صفوفهم، ويهديهم للحق الذي جاء به نبيّنا محمد ﷺ، إنه سميع قريب مجيب.

المصادر

القرآن الكريم.

(أ)

- ١ - الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري.
- ٢ - الأذكار النبوية: حبي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي.
- ٣ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي.
- ٤ - الإصابة في معرفة الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ٥ - الأعلام: خير الدين الزركلي.
- ٦ - الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: أبو حفص عمر بن علي البزار.
- ٧ - اقضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني.
- ٨ - الأئمالي: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق.
- ٩ - أمالی الأذکار فی فضل صلاة التسبیح: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ١٠ - الأنوار اللامعة في شرحزيارة الجامعة: السيد عبد الله

شبر.

(ب)

- ١١ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي.
- ١٢ - البحر الزخار المعروف بمسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو البزار.
- ١٣ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاشاني الحنفي.
- ١٤ - البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي.

(ت)

- ١٥ - تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي الحنفي.
- ١٦ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي.
- ١٧ - التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري.
- ١٨ - التبصرة في الوعظ: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.
- ١٩ - تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين: محمد بن علي اليماني الشوكاني.
- ٢٠ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

- ٢١ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: زكي الدين عبد العظيم المنذري.
- ٢٢ تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ٢٣ تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي.
- ٢٤ تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ٢٥ تلخيص المستدرك على الصحيحين: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي.
- ٢٦ تناقضات الألباني الواضحة فيها وقع له في تصحيح الأحاديث وتضعيفها من أخطاء وغلطات: السيد حسن بن علي السقاف.
- ٢٧ تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ٢٨ التوسل أنواعه وأحكامه: محمد ناصر الدين الألباني.

(ث)

- ٢٩ الثقات: محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي.

(ج)

- ٣٠ الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل البخاري.
- ٣١ الجامع الصحيح: مسلم بن الحجاج النيسابوري.
- ٣٢ الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.
- ٣٣ الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم: شهاب الدين أحمد بن

محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي.

(ح)

- ٣٤- حاشية الصاوي على الشرح الصغير: أحمد بن محمد الصاوي المالكي.
- ٣٥- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: الشيخ يوسف البحرياني.

(د)

- ٣٦- الدرر السننية في الرد على الوهابية: أحمد زيني دحلان المكي.
- ٣٧- الدعاء: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
- ٣٨- دفع الشبه عن الرسول والرسالة: أبو بكر محمد بن عبد المؤمن الحصني الدمشقي.
- ٣٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين البهقي.

(ذ)

- ٤٠- ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

(ر)

- ٤١- رد المحتار على الدر المختار: محمد أمين بن عمر عابدين

الحنفي.

- ٤٢ - الروح: شمس الدين محمد بن أبي بكر الدرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية.
- ٤٣ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: شهاب الدين محمود شكري الألوسي.
- ٤٤ - رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي.

(س)

- ٤٥ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني.
- ٤٦ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: محمد ناصر الدين الألباني.
- ٤٧ - السنن: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي.
- ٤٨ - السنن: محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة.

(ش)

- ٤٩ - شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني.
- ٥٠ - شرح الزرقاني لموطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني.
- ٥١ - شفاء السقام في زيارة خير الأنام: القاضي علي بن عبد الكافي

الشافعي السبكي.

٥٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض بن موسى
اليحصبي.

(ص)

٥٣ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد
الجوهري.

(ط)

٤٥ - طبقات الحفاظ: جلال الدين السيوطي.

٥٥ - طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن علي بن عبد
الكافى السبكي.

٥٦ - طبقات المحدثين بأصفهان: عبد الله بن حبان المعروف بأبي
الشيخ.

٥٧ - طرح التشريب في شرح التقريب: زين الدين عبد الرحيم بن
الحسين العراقي.

(ع)

٥٨ - عمدة القاري في شرح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد
العيني.

٥٩ - عمل اليوم والليلة: أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بابن
الستي.

(غ)

٦٠ - غريب الحديث: إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم البغدادي الحربي.

(ف)

٦١ - فتاوى الرملي: شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزه الرملي الشافعى.

٦٢ - الفتاوى الكبرى: تقي الدين أحمد بن عبد الخليل بن تيمية الحراني.

٦٣ - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية.

٦٤ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.

٦٥ - فرقة الأحباش: نشأتها، عقائدها، آثارها: سعد بن علي الشمراني.

(ق)

٦٦ - القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي.

(ك)

٦٧ - الكاشف في من له رواية في الكتب الستة: شمس الدين أبو

عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي.

٦٨ - الكافي: ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرazi.
الكلم الطيب: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
الحراني.

٦٩ - الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني.

٧٠ - كفاية الطالب الليب في خصائص الحبيب (المعروف
بالخصائص الكبرى): جلال الدين السيوطي.

٧١ - الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي بن ثابت المعروف
بالخطيب البغدادي.

٧٢ - كيف نفهم التوحيد؟: محمد باشميل.

(م)

٧٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر
الميتمي.

٧٤ - المجموع في شرح المذهب: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن
شرف النووي الدمشقي.

٧٥ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: شمس
الدين محمد بن أبي بكر الدرعي الدمشقي المعروف بابن قيم
الجوزية.

٧٦ - المدخل في الفقه المالكي: محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم
بن لب التجيبي القرطبي المالكي المعروف بابن الحاج.

٧٧ - مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: الشيخ محمد باقر

المجلسى.

- ٧٨- مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح: حسن بن عمار الشرنبلانى.
- ٧٩- المستدرك على الصحيحين: الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري.
- ٨٠- المسند: أحمد بن علي بن المثنى الموصلى المعروف بأبي يعلى.
- ٨١- مسند أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى.
- ٨٢- مشاهير علماء الأمصار: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي.
- ٨٣- مصباح الرجاجة في زوائد ابن ماجة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز البوصيري.
- ٨٤- مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام: محمد بن موسى بن النعمن التلمسانى.
- ٨٥- المصنف في الأحاديث والآثار: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة.
- ٨٦- المعجم الصغير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى.
- ٨٧- المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى.
- ٨٨- المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان الفسوى.
- ٨٩- المغنى: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي.
- ٩٠- المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من أخبار: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي.
- ٩١- مقالات الكوثري: محمد زاهد بن حسن الكوثري.

- ٩٢ - مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
- ٩٣ - من لا يحضره الفقيه: الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق.
- ٩٤ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني.
- ٩٥ - موسوعة أحاديث أهل البيت: محمد هادي النجفي.
- ٩٦ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

(ن)

- ٩٧ - النكت على مقدمة ابن الصلاح: بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي.
- ٩٨ - نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال: عبد الله بن صديق الغماري.

(هـ)

- ٩٩ - هذه مفاهيمنا: صالح آل الشيخ.

(و)

- ١٠٠ - الوابل الصيب من الكلم الطيب: شمس الدين محمد بن أبي بكر الدرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية.
- ١٠١ - الوفي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي.

المصادر..... ١٠٧

١٠٢ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: نور الدين علي بن عبد الله السمهودي.

١٠٣ - الوفا بتعريف فضائل المصطفى: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.

فهرس المحتويات

تعريف التوسل والوسيلة.....	١١
التوسل والوسيلة في الإسلام	١٣
تاريخ الاختلاف	١٥
فتاوي المنكرين للتوسل.....	٢١
أدلة المنكرين للتوسل	٢٣
أدلة المجوزين للتوسل.....	٣١
سيرة السلف	٦٣
المذهب المالكي	٦٣
المذهب الشافعي	٦٨
المذهب الحنفي	٧٢
المذهب الحنفي	٧٧
محاولات التحرير.....	٨٥
روايات أئمة أهل البيت علیهم السلام في التوسل	٨٩
خمسة في آذان السلفية	٩٥
المصادر	٩٧
فهرس المحتويات	١٠٩